سلسلة الدراسات التوثيقية (54)

# فاطمة عبد الرحيم

## (سيرة كنداكة نوبية معاصرة)

دعوض شبّا

الطبعة الأولى 2026م

فاطمة عبد الرحيم

سيرة كنداكة نوبية معاصرة

الإيداع القانوني

...../2026م

الناشر:

دار آريثيريا للنشر والتوزيع – الخرطوم – السودان

جوال:

00249122094856-121566207

البريد إلكتروني:

arithriaforpublishing@gmail.com

تاريخ النشر:

الطبعة الأولى – 2026م

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر والمؤلف

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه كنسخة إلكترونية أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من المؤلف والناشر

# إهداء

أهدي هذ الكتاب بكل الحب والتقدير إلى المرأة النوبية العظيمة المعاصرة التى كتبت سيرتها وتاريخها بالعمل قبل الحبر

**فاطمة عبد الرحيم**

**سيرة كنداكة نوبية معاصرة 3 |**

# شكر وعرفان

**أتقدم بخالص** الشكر والتقدير وعظيم الإمتنان لكل من قدم لي معلومة أو رواية أو شهادة، وساهم في حفظ وتوثيق سيرة الكنداكة فاطمة عبد الرحيم، وأخص بالشكرة أسرة الكنداكة التى رحبت بالفكرة وتعاونت معي، وأتاحت لي فرصة التعرف على تفاصيل هذه الكنداكة العظيمة.

مع خالص الشكر والتقدير للجميع

# المحتويات

تقديم(1).....6

تقديم (2).....8

تقديم (2).....10

## تمهيد عام

مدخل إلى السيرة (لماذا فاطمة عبد الرحيم) .....16

## الفصل الأول

تشابك الأنساب والجغرافيا والتاريخ.....32

## الفصل الثاني

النشأة والسّمات العامة لشخصّية الكنداكة.....43

## الفصل الثالث

البدايات ومواجهة التحديات.....53

## الفصل الرابع

ملامح من حياتها ودورها الاجتماعي والاقتصادي.....64

## الفصل الخامس

حصاد السنين ولمّسات الوفاء.....83

## الفصل السادس

رحيل الكنداكة واستمّرار المسيرة.....95

الخاتمة.....116

المصادر والمراجع.....118

الملاحق .....120

# تقديم

## (1)

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسوله الكريم

اليوم الاثنين التاسع والعشرون من شعبان 1447هـ، الموافق السادس عشر من فبراير 2026م.

ونحن نطلّ على شهر رمضان المبارك، نترقبه هنا في مدينة برمنغهام. وكعادتي في تقليب الصفحات الأثيرية، وقفت على طلبٍ من الابن عوض شبا، يطلب فيه أن أقدّم لكتابه عن السيدة المجتمعية، الأخت والأم فاطمة عبد الرحيم، والتي –بحسب تقديمه– كرّمها الاتحاد العام للمرأة السودانية بمنحها جائزة الإبداع لنساء الريف، كما رُشِّحت لعدة جوائز إقليمية وعالمية أخرى.

وكانت المفاجأة أنني وجدت نفسي أنتمي إلى هذه الأسرة؛ فوالدي من "قنتي"، ووالدتي والدها من "أرتي موقا" ووالدتها من "قنتي". كما أنني وُلدت بمدينة "الحصاحيصا"، غير أنني ارتبطت بهذه المنطقة الممتدة من "دنقلا الجديدة" إلى "دنقلا العتيقة"، ومن "الدفار" إلى "منصور كتي" و"فقر نكتي". وكانت لي صداقات مع شيوخ هذه المنطقة، كما بدأت مشروعًا لتأريخ منطقة الدفار ومملكة الدفار، التي أصبحت اليوم من المناطق التي إذا ذُكرت ذُكر معها الإسلام؛ لأن الإسلام والثقافة العربية كانت هذه المنطقة واحدة من أهم مراكزها بخلاويها وأساتذتها، وذكر منهم الشيخ أحمد البيلي والبلياب وغيرهم.

إن هذه المنطقة منطقةٌ مهمة وحاكمة في التاريخ السوداني. كما أنني أعرف النصراللاب منذ صغري؛ إذ كان المرحوم الأستاذ أحمد نصر الله ناظرًا لمدرسة رفاعة، وكنا –نحن أطفال– نهرع إلى منزله في مدينة رفاعة من الحصاحيصا، فقد جمعت بيننا أواصر القربى التى تجمع الغرباء، ومثل مدينتي رفاعة والحصاحيصا، مثل الدفار وأرتي موقا.

شدّني الكتاب بأسلوبه السهل الذي يذكّرني بطيب الذكر الأديب الطيب صالح، كما أنه جديد في محتواه؛ إذ يحكي التاريخ الاجتماعي لهذه المنطقة ممثلاً في بطلة سيرته، فاطمة

عبد الرحيم، المولودة عام 1940م. وقد أكرمها الله بأن شهدت أواخر الحقبة الإنجليزية– المصرية في السودان، وتزوجت عام 1954م مع الحكم الذاتي. وبطله من "منصور كتي" و"دبة الفقراء"، ومدينة الأبيض الزعيم إسماعيل الأزهري.

ثم تم زواجها الثاني مع إطلالة استقلال السودان، وجاء أغلب بناتها وأبنائها مع إطلالة ثورة أكتوبر. وكيف لا، وهي الأرملة الفلاحة، التي نجحت في قيادة مجتمعها الصغير، فأقامت الطاحونة، وأنشأت صهريجًا للمدرسة، وغيرها من الأعمال الجليلة، فضلًا عن حسن تربيتها لأبنائها وأحفادها. كما يعرض الكتاب مسيرة إخوتها بين مدينتي جوبا والخرطوم، وسلام السودان في عهد جون قرنق.

وقد ربط الكتاب بين الماضي العريق، الذي يمثله عصر الكنداكات منذ "أماني شيخيتي" – أو الشيخة آماني كما يحلو لصديقي الدكتور زكريا بشير أن يسميها– والآن ابنتها الشيخة فاطمة عبد الرحيم، ومآلات تكوثرها النسوي، الذى قادها إلى التكوثر الذكوري فأصبحت صاحبة عود مثلها مثل الرجال وأكثر في المساهمات والتبرعات.

فالكتاب إضافة إلى التاريخ الاجتماعي للمنطقة، وتوثيقٌ لشخصية فاعلة ومؤثرة، كما أن الكتاب يقوي أواصر القربى والرحم والمودة بين سكان هذه المنطقة الممتدة من "القدار" إلى "منصور كتي" و"قنتي."

شكرًا للابن عوض شبا، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يصبح هذا الكتاب مدَدًا وملهِمًا لكتابة التاريخ الاجتماعي في هذه المنطقة.

**بروفيسور/ حسن مكي محمد أحمد**

**جامعة أفريقيا العالمية**

# تقديم

## (2)

يصدر كتاب «فاطمة عبد الرحيم: سيرة كنداكة نوبية معاصرة» للدكتور عوض شبّا ضمن سلسلة الدراسات التوثيقية التي ينهض بها مركز دراسات دول حوض البحر الأحمر، وتقوم بنشرها دار إرتيريا للنشر والتوزيع، في إطار مشروع علمي يسعى إلى إعادة كتابة التاريخ الاجتماعي والثقافي للمنطقة من منظور نقدي توثيقي، يعيد الاعتبار للأدوار المغيبة، ويستحضر الشخصيات التي أسهمت في تشكيل الوعي الجمعي وصناعة الفعل الاجتماعي، وفي مقدمتها المرأة.

ينطلق هذا العمل من وعي عميق بأهمية دراسة سِيَر النساء بوصفها مدخلًا أساسًا لفهم التحولات الاجتماعية والثقافية في السودان، ولا سيما في المجتمعات النوبية التي ارتبط فيها حضور المرأة تاريخيًا بالسلطة، والحكمة، والمشاركة الفاعلة في الشأن العام. وفي هذا السياق، يكتسب اختيار فاطمة عبد الرحيم موضوعًا للدراسة دلالته الخاصة، إذ تمثل سيرتها نموذجًا معاصرًا لاستمرارية الدور التاريخي للمرأة النوبية، وامتدادًا حيًا لإرث الكنداكة بوصفه لقبًا سياسيًا واجتماعيًا لعظيمات مملكة مروي، لا مجرد توصيف رمزي أو أسطوري.

ويُمهِّد المؤلف لهذا السفر بمدخل نظري وإنساني يتناول سيرة المرأة السودانية في بعدها العام، مستحضرًا نماذج من تجربته الأسرية الخاصة، وعلى رأسها والدته ونساء أسرته، بما يمنح النص عمقًا وجدانيًا محسوبًا، ويؤكد أن الكتابة التاريخية هنا لا تنفصل عن الذاكرة الاجتماعية والمعايشة المباشرة. ثم ينتقل إلى تقديم تمهيد تاريخي لدور المرأة في مملكة مروي، مبرزًا مكانتها في البلاط الملكي النوبي، ومشاركتها في شؤون الحكم والإدارة، ومؤسسًا بذلك لإطار تاريخي يربط الماضي بالحاضر، ويمنح سيرة فاطمة عبد الرحيم بعدها الحضاري الواسع.

وتتجلى أهمية هذا الكتاب كذلك في طبيعة مصادره وتنوعها، إذ يستند إلى اعتراف دولي موثق بدور فاطمة عبد الرحيم، حيث كانت ضمن ألف امرأة مختارة من مختلف دول العالم لنيل جائزة نوبل للسلام، كما وردت سيرتها ضمن كتاب «1000 امرأة من أجل السلام عبر العالم» الصادر عن دار كونتراست، فضلًا عن اعتماده على دراسات ميدانية

حول إسهامات المرأة الريفية في التنمية بالسودان. ويعكس هذا التنوع في المصادر حرص المؤلف على بناء سردية تاريخية قائمة على التثبت والتحقق، ومسنودة بشهادات محلية ودولية.

ومن الناحية المنهجية، يجمع الدكتور عوض شبّا بين المنهج العلمي الأكاديمي القائم على نقد المصادر والعودة إلى أصولها، وبين منهج السرد التاريخي المباشر الذي يتسم بالوضوح والاقتصاد اللغوي، مع توظيف أسلوب أدبي رصين يخدم المادة العلمية ولا يطغى عليها. وقد اعتمد المؤلف على الروايات الشفوية والوثائق المتاحة، وربطها بالسياق الاجتماعي والثقافي والتاريخي للمجتمع النوبي، مع إخضاعها للمقارنة والتحليل قدر الإمكان، بما يمنح النص توازنًا بين التوثيق والتحليل، وبين الفردي والجماعي.

يتناول الفصل الثاني الجذور الجغرافية والاجتماعية للكنداكة فاطمة عبد الرحيم في أبعادها التاريخية والحضارية، فيما يخصص الفصلان الثالث والرابع لدراسة مكان ميلادها ونشأتها، والملامح الأساسية التي أسهمت في تكوين شخصيتها، وقدرتها على مواجهة تحديات الواقع الاجتماعي والاقتصادي. ويبرز المؤلف من خلال ذلك مظاهر استمرارية الدور المحوري للمرأة النوبية السودانية، رابطًا بين هذا الدور التاريخي وبين تجربة فاطمة عبد الرحيم بوصفها تعبيرًا معاصرًا عنه. وتُختتم فصول الكتاب بتوثيق لحظات الوفاء والتكريم التي حظيت بها على المستويات المحلية والإقليمية والدولية، باعتبارها اعترافًا رمزيًا ومؤسسيًا بإسهامها في مجالات العمل الاجتماعي والتنمية والسلام.

إن هذا الكتاب لا يكتفي بتقديم سيرة ذاتية لامرأة استثنائية، بل يؤسس لقراءة أوسع لتاريخ المرأة النوبية والسودانية، ويعيد إدماجها في سردية التاريخ الوطني بوصفها فاعلًا تاريخيًا أصيلًا، لا هامشًا تابعًا. وبهذا المعنى، يمثل هذا العمل إضافة علمية وثقافية مهمة للمكتبة السودانية، وإسهامًا جادًا في دراسات التاريخ الاجتماعي ودراسات المرأة، وتأكيدًا على أن الكنداكية ليست مجرد لقب من الماضي، بل مفهوم حضاري متجدد تتجسد روحه في الحاضر.

**د. أمل الحميري – صنعاء 25 يناير 2026م**

# تقديم

# (3)

(فاطمة عبدالرحيم سيرة كنداكة نوبية معاصرة) إن المتتبع لكتاب

يجد ان الكتاب جاء مرتبا في محتواه ومتسلسلا تسلسلا موضوعيا في سرد قصة الحاجه فاطمه عبدالرحيم و تناول تمهيدا مهما ومتدرجا مما شكل للكاتب الدكتور عوض شبا صعوبة في الاختيار لصناعة توثيق للمرأة نوبيه تمثل كنداكة معاصره فتعددت الخيارات الممتازة والمتقاربة في الصفات والقيم التي يحملنها من ذكرهن في تمهيده العام للكتاب منهن ام النصر شيخ الدين والدة الكاتب عوض شبا التي تحملت وعانت ايما معاناة في سبيل تربية ابناءها وصبرها علي فقد ثلاث من الاولاد قبل ميلاد الكاتب دكتور عوض فجاء عوض عوضا من الله لهذا الصبر والجلد وهي امرأه تعرف للدين حقوقه فنذرت فأوفت بما نذرت به وكذلك جاء في التمهيد قصة الام المثالية التي كرمتها شركة زين في ولاية النيل الابيض بنت خالة كاتبنا سميه محمود شامبي وقص لنا الكاتب كيف عانت وكابدت وتحملت تربية وتعليم بنتها فاقدة البصر حتي تخرجت من الجامعة واستمتعنا في تمهيده للكتاب بقصة جدة عوض شبا المرأة الصالحة الحاجه روضه محمد ام السبعة اولاد وثلاث من البنات وكيف اكتسبت المهارات من والديها فأصبحت شخصيتها متميزة ولها كلمتها وتقديرها الخاص في محيط اهلها فيتبركون بوجودها وتمثل لهم مقدم خير وبركه في مناسباتهم ولها مواقف تمثل قوة شخصيتها كما ذكرها الكاتب وكيف انها توفت وهي بجوار مصلاتها وبذلك يوضح الكاتب ان المرأة النوبية كلها خير فتواصل مع البروفسور حاتم الصديق وقلبا معا الخيارات برغم درجه التشابه الشديد بينها فوقع الخيار علي الحاجه فاطمه عبدالرحيم لتكون كنداكة نوبيه معاصره بما اكتسبته من مهارات وصفات واعمال خير وسمات عامه وسمعه طيبه في المنطقة والمحلية والولاية والسودان عامه وأفريقيا والعالمية حيث انها اصبحت ضمن ألف امرأة حول العالم رشحن لنيل جائزه نوبل للسلام

وقد قسم الكاتب الكتاب بعد التمهيد العام الذي تحدث فيه لماذا اختياره لفاطمة عبدالرحيم قسم الكتاب الي سته فصول متماسكه التفاصيل والمعاني ففي الفصل الاول تناول فيه

الكاتب دكتور عوض شبا تشابك الأنساب والجغرافيا والتاريخ كأنما يريد ان يقول او قالها مباشرة بتحليل دقيق ربط فيه علاقة أنساب الكنداكة النوبية فاطمه عبدالرحيم حيث انها تنتمي لأسرة بشاره علي برسي في منصوركتي بالجغرافيا كموقع ومكان نشأتهم في منطقة القدار او دنقلا العجوز او منطقة الدفار هذه المناطق التي تاريخيا تأسست فيها مملكة المقرة المسيحية وبعد دخول الإسلام السودان تكونت مملكة الدفار اسلاميه كأول مملكة اسلاميه في السودان علي حد قول المؤلف ومن هذا المزيج المتشابك المنصهر نسبا وجغرافية وتاريخا خرجت الكنداكة النوبية فاطمه عبدالرحيم مستمده منه السمات المشرقة بالخير المتدفق في كافة مناحي الحياة.

ويذهب الكاتب عوض شبّا في فصله الثاني من الكتاب متحدثا عن النشأة والسمات العامة لشخصية الكنداكة فاطمه عبدالرحيم حيث ربط بين ميلادها في العام ١٩٤٠م في جزيره الرحمة التي كانت محل حراك اجتماعي واقتصادي تبركت بميلاد الكنداكة النوبية المعاصرة فاطمه عبدالرحيم ومنذ نشأتها الاولي ظهرت وتجلت ملامح شخصيتها فقد كانت تلاعب الصبيان الذكور وتتفوق عليهم في ركوبها للدواب وكانت ماهره في السباحة وفيها روح المغامرة تجلت في سرد الكاتب لقصة مولانا الامام وهي تترصد له الطريق لأخذ احذيته ودفنها في الرمال وكانت محل احترام وتقدير والديها وبرغم زواجها في سن مبكره وهي في الرابعة عشره عام من عمرها من زوجها الاول الذي توفي عنها وهي في ماتزال يافعه وتزوجها شقيقه بعد إكمال العدة والذي انجب منها البنات ومحمد الولد الوحيد وتوفي بعد قدومه من الحج وهنا تبرز قوة شخصية الكنداكة وصلابة قرارها في انها لا ترغب في الزواج مجددا واكدت علي ذلك بلبسها العراقي والسروال الزي الرجالي والتوب في دلاله واضحة تقنع بها الأسرة بأن لا تراجع من القرار في انها تريد ان تتفرغ لتربية ابناءها والعمل في الزراعة اولا والتجارة لاحقا برغم ما ذكر الكاتب من مسحة جمالها الانثوي فأصبحت ذات صيت عالي وشهره ومحبوبه في محيطها وخاصة الذين عملوا معها فهي صاحبة مشورتهم ومحل احترامهم لما تبذله من صدق في التعامل ويد العطاء المدودة بالخير وكانت فاطمه عبدالرحيم سندا لأهلها كذلك وبروز اشقاءها حيث لهم أدوار وطنيه متعاظمة (محادثات السلام لجنوب السودان) فهم من اهل العمل الحر التجاري الموفقين استمدت منهم الكنداكة السمعة الطيبة فهي محل ثقتهم واحترامهم فكانت النشأة وسمات شخصية الكنداكة فاطمه عبدالرحيم لا مثيل لها.

**فاطمة عبد الرحيم**

وفي الفصل الرابع يفصل لنا الدكتور عوض شبا ملامح من حياة الحاجه فاطمه عبدالرحيم ودورها الاجتماعي والاقتصادي مبينا ان هذه المرأة الاستثنائية كانت لها أدوار اجتماعيه مشهوده في محيطها ومنطقتها التي نشأت وترعرعت فيها حيث المشاركات الفاعلة ذات الاثر الواضح نقله الكاتب ممن عايشوا الكنداكة النوبية المعاصرة الحاجه فاطمه عبدالرحيم في الأفراح والاتراح بمساهمات عينيه وماديه ومشاركه شخصيه دون ان تحدث لها زخم إعلامي وتشهيري حيث انها تقوم بواجبها في صمت وسرية تامه اذا ما تطلب الأمر وذلك لمسناه مما ذكره الكاتب من مصادره الذين شاهدوا وعايشوا هذه الوقائع والفعاليات فقد كانت الحاجه فاطمه عبدالرحيم مشروع اجتماعي متكامل رواده الفقراء والمساكين وفيه التواصل المجتمعي وصلة الارحام وقيم الإنفاق علي الخدمات العامة مشروعات المياه والكهرباء والصحة والتعليم والتشاور واسداء الرأي الصواب .وأما دورها الاقتصادي فالحاجة فاطمه عبدالرحيم كما ذكر الكاتب فقد افلحت الارض وزرعتها بنفسها وادارة العمليات الزراعية في زمن نفر الناس عن الزراعة وكانت طارده لكنها بعزيمتها وصبرها حققت نجاحات متميزة وتوسعت في المساحات الزراعية وكانت من اوائل من استخدم التقانات الزراعية والطاقة الشمسية وتوسعت في شراكاتها الزراعية بالتمويل والإدارة ونظام النسب في الإنتاج ولعل البركة تتجلي لنا في مشروع واحد استوعب اكثر من تسعين شخص ولنا ان نتخيل كم اسره يعولها هذا المشروع .كما ان الحاجه فاطمه عبدالرحيم عملت بالتجارة ولها سمعه طيبه وذاع صيتها وتجسدت فيها القيم السمحة في البيع والشراء بعيدا عن أخلاقيات السوق في زماننا هذآ فكثيرا ما تعفو عن الدين وتدفع عن الفقير وتجلت فيها معاني الصدق والصلاح من خلال ما قامت به من أدوار اجتماعيه واقتصاديه.

والكتاب في فصله الخامس تناول الدكتور عوض شبا بعضا من حصاد سنين الكنداكة النوبية المعاصرة الحاجة فاطمة عبد الرحيم ولمسات الوفاء التي حفتها من كل جانب من اهلها في القدار ودنقلا العجوز ومنطقتها والمجتمع المحلي وولايتها الشمالية والسودان الوطن الكبير والقارة الأفريقية يل وصلت للعالمية

فبعد ان صنعت مجدا اجتماعيا بكرمها وانفاقها اللا محدود في مجالات مختلفة الصحة والتعليم وخدمات المياه والطاقة والكهرباء ومعالجة قضايا الناس في مجتمعها محيطها

ومحيط من يعرف اهلها من ابناءها وبناتها واسرتها الكبيرة والصغيرة كما ذكر الكاتب من شهادات متطابقة رواها من عاصروا الحاجه فاطمه عبدالرحيم بنماذج حيه شاهده علي عطائها اللا محدود واقتصاديا كمرأة منتجه تدير أعمالها الزراعية والتجارية بنفسها وبجداره وعملت علي تطويرها فزاد المنتوج وتوسعت المشاريع واستوعبت اعداد مقدره من العمالة واتسمت عليهم علامات الرضاء عن الحاجه فاطمه عبدالرحيم وحازت علي حبهم وتقديرهم لها ولذلك كله كانت الحاجه فاطمه عبدالرحيم محل اهتمام واحتفاء واحترام وتكريم وفاءا لما ظلت تقدمه من اعمال جليله فكرمتها اسرتها وحفيداتها وكرمتها الجامعات ودور العلم والقران ومنظمات المجتمع التي كانت ذات سهم عالي في انشطتها ومنطقتها وعلي مستوي المحلية فأعمالها اهلتها لتنال تكريما علي مستوي الولاية وكذلك كرمت تكريما قوميا تفردت به عن نساء الريف السوداني لدورها الفاعل في الانتاج الزراعي بالإضافة لإعالتها تسع وتسعون اسره اهلها للفوز بالجائزة القومية في احتفال محضور بتشريف رئيس الجمهورية المشير عمر البشير وقيادة الدولة العليا واتحاد المرأة السودانية ولم يقتصر الأمر في الوفاء لها والتقدير عند هذا الحد بل ان هذه المرأة النوبية فاطمه عبدالرحيم تم ترشيحها من ضمن الف من نساء العالم لجائزة نوبل للسلام العالمي 2005 ، وذلك لتسليط الضوء علي الدور المحوري للمرآه في بناء السلام العالمي

والدكتور عوض شبا في كتابه الكثير من التفاصيل المهمة عما حظيت به الكنداكة النوبية المعاصرة فاطمة عبد الرحيم من اهتمام متعاظم ومستحق.

والفصل السادس للكتاب يحكي عن رحيل الحاجه فاطمه عبدالرحيم رحمها الله واستمرار المسيرة فصور لنا الكاتب في هذا الفصل الاخير كيف كانت بدايات المرض ومراحله المختلفة وكيف كان التعامل معه من وقتما كانت في المنطقة وانتقالها للعلاج بالخرطوم ووصولا للجمهورية مصر العربية وكيف كان تحملها وصبرها واشفاقها علي اهلها وابناءها واسرتها ومدي تأثرهم ومتابعة مراحل علاجها وتجسدت متانة علاقتهم وارتباطهم جميعا بها وهي تبادلهم الود بالود والحب بالحب فهي امرأة استثنائية تحمل الخير كله في جوانحها ولحظة رحيلها من الحياة الدنيا في أرض الكنانة حزن الناس كلهم وكل من يعرف الحاجه فاطمه عبدالرحيم رثاها بطريقته التي يعرفها ولعل حبها لأهلها في القدار ودنقلا العجوز

هو ما جعل قرار اهلها بأن تدفن وتقبر فيها وكان يوما مشهودا حيث شيعها جمع غفير من اهلها واحبابها في موكب مهيب كان شهادة

لها فيما قدمته اعمال حازت بها على محبتهم واحترامهم وتقديرهم لها. ولا يعني رحيلها انقطاع المسيرة بل ان هذا الدرب الذي سلكته الحاجة فاطمة عبد الرحيم قطعا سيكون نبراسا للكثير من النوبيات والمرأة السودانية عامة جدير بالاحتذاء والاقتداء والسير به.

وعلي وجه الخصوص أجد نفسي أكثر المستفيدين من اطلاعي على هذا الكتاب فاطمة عبد الرحيم كنداكة نوبية معاصره بحيث كانت فكرتي واعتقادي سابقا ان المرأة النوبية جامدة وفيها شئ من السكون وغير فاعله في المجتمع وليست ذات أثر وهذا الأمر رسم عندي منذ فترة بعيده ونحن نشاهد في كتب التاريخ صور الكنداكات لكنني الان تعرفت وبحقائق ان المرأة النوبية امرأة استثنائية في ادوارها المجتمعية والاقتصادية وذات اثر باقي ونفع دائم وتتفوق علي كثير من بنات جنسها.

وايضا وجدت من خلال متابعتي للدكتور عوض شبا وهو يسرد حياة الحاجه فاطمه عبدالرحيم كنداكة نوبيه معاصره ان الكنداكة بهذه الصورة ليست كما صورتها بعض المتكندكات في عصرنا المتأخر فالكنداكة فاطمه عبدالرحيم قد تتفوق علي اولئك الأوائل من الملكات لكونها امرأة متاحة في خيرها للجميع وابوابها مفتحة دون طارق وبلا حراسة ويمكن الوصول إليها والاستفادة من خيرها بلا واسطه والحاجه فاطمه عبدالرحيم تتحسس الناس وتقضي حوائجهم وتصل إليهم في مواقعهم دون ضوضاء او زخم وتعطي بلا من ولا اذي ولا تشهير وبذلك تكون الحاجه فاطمه عبدالرحيم كنداكة نوبيه معاصره بلون جديد وطعم فريد وذوق رفيع.

وفي الفصل الثالث لكتاب فاطمه عبدالرحيم كنداكة نوبيه معاصره تناول بدايات الكنداكة فاطمه عبدالرحيم وكيف انها واجهت التحديات العصيبة وجعلت منها امرأة حديديه تحاكي وتتفوق علي الرجال وذلك خلال السرد التفصيلي لحياتها زواجها في سن مبكره من شقيقين ترملت منهما أنجبت من احداهما (شيخ سلطان) ثلاث بنات (إحسان وسميره وهاجر ) وولدها الوحيد (محمد) وقررت قرارها الصعب في نفسها وحرمت نفسها متعة الأنوثة بعد وفاة زوجيها وهي ماتزال تحظي بجمال وسماحه منحها الله اياها في العمر لخامسه والثلاثين لاسيما وان وجهاء القوم وعمدهم تقدموا لطلب الزواج منها فرفضت

الفكرة والارتباط بزوج وانها فقط تريد التفرغ لتربية ابناءها ولعل المؤلف دكتور عوض شبا اشار لذلك حينما عرض عليها الزواج من العمدة فكان ردها انك كأنك لا تريدنا ان نعيش معك وفي ليل مظلم تقرر الرحيل لبيت اولادها وفعلا نفذت ما قررته ولم يمنعها ذلك ببرها بوالديها وخدمتهم بكل اخلاص حيث قضوا بقية حياتهما معها وحظيت بعفوهما ورضاءهما وحينما انتقلا للدار الآخرة ادارت مشاريعهما واملاكهما بالاضافة لمشاريع وممتلكات اولادهما في فلاحة الارض وزراعتها والتجارة وتوسعت في اخري عبر الشراء والإدارة للآخرين بنظام النسبة المعروفة المقسمة علي صاحب الارض والممول والمزارع وقد حالفها التوفيق والنجاح مما انعكس خيرا عليها فدخلت مشاريع جديده كانت عصية في ذلك الزمان علي عامة الناس فامتلكت طاحونة كان لا يستطيع امتلاكها الا العمد وأصحاب الحظوة فأصبحت موقعا يجتمع الناس فيه للتشاور واللقاء وبذلك تحقق المقولة (المال يافقا ياتقا) وهي تعني تربية الحيوان والزراعة التى برعت فيهما وعبرهما قامت بتربية ابناءها علي احسن حال ونالوا قسطا واسعا من التعليم خاصة البنات ومحمد تفرغ للعمل التجاري واشرفت الكنداكة بتعليم احفادها وتزوجيهم ولم يقتصر دورها علي اسرتها بل شملت رعايتها حتي اهل المنطقة عموم ومن عملوا معها فشهدوا لها بحسن الإدارة وتقديمها أقصي ما عندها لخدمتهم

فكانت بداياتها في ظروف صعبه وتحديات واجهتها وحولتها لنجاحات باهره فصنعت منها الكنداكة فاطمة عبد الرحيم المرأة النوبية المعاصرة.

**الأستاذ العبيد بابكر باكر**

**قرية الهجيليج – مصنع سكر الجنيد**

**فبراير 2026م**

# تمهيد عام

# مدخل إلى السيرة (لماذا فاطمة عبد الرحيم؟

# تمهيد عام

# مدخل إلى السيرة (لماذا فاطمة عبد الرحيم؟)

تزاحمت المشاهد أمام ناظري دفعةً واحدة؛ بعضها صغير في حجمه، لكنه عالق في ذهني منذ طفولتي. جاء ذلك عقب تواصلي مع الأخ البروفيسور حاتم الصديق، ونقاشنا حول تاريخ المرأة النوبية، وسؤاله لي: لماذا لم تُوثَّق لها، وأنت من المهتمين بتاريخ دنقلا والتاريخ الاجتماعي؟ ألا توجد امرأة تستحق التوثيق في منطقتكم؟

مرّ بخاطري عدد من النساء المميّزات اللاتي كان لهنّ دور بارز في المنطقة. وفي إطار أسرتي، تذكّرتُ جهود أمي، أم النصر شيخ الدين حسين دياب، وهي تُعدّ لي الخبائز الجافة (القرقوش) في الفرن البلدي، في قائظة صيف دنقلا الحار، لتعيننا على جوع الداخلية في مرحلتي التعليم المتوسط والثانوي، دون كلل أو ملل، وكأنما هو واجب جُبلت عليه. هي وغيرها من نساء المنطقة حملن مع الأب عبء تربية الأبناء وتعليمهم، وهو دور ورثّنه عن الأمهات النوبيات جيلًا بعد جيل.

ولا يزال صوتها الشجي يرنّ في أذني وهي تهدهدني قائلة: (عوض الله شال سوطو خصيمه وموتو...).

سألتُ أمي يومًا عن سبب تسميتي عوض، رغم أن الاسم غير متداول في أسرتنا، فحكت لي قصة مؤلمة عن وفاة ثلاثة من إخوتي قبل مولدي، وعن معاناتها أثناء الحمل والولادة في ظل غياب العناية الطبية وبُعد المستشفيات، حيث كان المساعد الطبي (التمرجي) هو المسؤول الوحيد عن العلاج في المنطقة.

ذكرت بحزن قصة آخرهم الذي تُوفي في بطنها، وكيف كادت تفارق الحياة، قبل أن تُنقل بـعربة الإسعاف (اللاندروفر) إلى دنقلا عبر طريق وعر وطويل، يقارب طوله 150 كيلومترًا.

وعند ولادتي، أُقيمت وليمة بطقوس خاصة، أو ما يُعرف محليًا بـالكرامة، وفاءً بنذر قطعته أمي على نفسها إن رزقها الله طفلًا حيًا؛ أن تذبح عجلًا أمام المنزل وتوزّعه على

الجميع. وسمّتني (عوضًا من الله) عن إخوتي الراحلين. ويُطلق البعض على من تُقام له طقوس مماثلة لقب جني النديهة (صورة رقم 1).

صورة رقم (1) الوالدة أم النصر شيخ الدين (2023م)

ولا أنسى كيف تولّت أختي آمنة رعايتي في صغري حين مرضت أمي بعد وفاة أخي الأصغر، وكذلك عمّتي الحاجة آمنة الحاج عوض، المشهورة بـآمنة مقلونج، التي ربطتني بها علاقة أمٍّ بابنها.

أسرد هذه المشاهد لأقول: كم أن الأم النوبية صابرة، عظيمة، وصامدة.

كما تذكّرت بنت خالتي وشقيقة زوجتي، سمية محمود الخير شامبي، وهي انتقلت إلى مدينة كوستي بعد زواجها، وخاضت تجربة نضال طويلة في تربية أبنائها وخاصة ابنتها المعاقة بصريًا، حتى درست الجامعة وتزوجت. سهرت وكابدت في تربية أبنائها، وتم تكريمها أمًا مثالية من شركة زين للاتصالات، ونالت جائزة المرأة المثالية على مستوى ولاية النيل الأبيض عام 2018م، (صورة رقم 2).

صورة رقم (2)، سمية محمود شامبي(2018م)

غير أنّ مشهدين صغيرين لجدّتي طغيّا على مخيلتي، وما زالا عالقين بذاكرتي حتى اليوم..

كانت جدّتي امرأة نبيلة، عظيمة المقام، وضيّئة الوجه، وقورة القسمات. كان أبي يناديها بـــإندي ، رغم أن الشائع في اللغة النوبية الدنقلاوية أن الأم تُنادى بـــإنين، والجدة بـــآنو، أو أحيانًا يو . ولا نعلم على وجه الدقة إن كان لهذا النداء صلة بلقب ملكات مروي كنداكة.

عند ختاني عام 1983م، وبعد انتقالنا من قرية المواد بغرب النيل_ حيث كان مقر عمل أبي وأعمامي في صناعة المراكب والزراعة بجزيرة الألو_ إلى قرية المقاودة بشرق النيل، وقبيل دخولي المدرسة الابتدائية، قابلتني جدّتي روضة أحمد تود في صباح اليوم التالي، وطلبت مني أن أرفع عراقي الختان لتفحص موضع العملية، فرفضت.

انتهرتني بشدة، ورفعت العراقي بيدها قائلة: (خليك منكإنت... الرجال ما بيأبو كلامي ا!)،

فهبتها، ولم أعترض، رغم عنادي في الصغر. علقت هذه العبارة في ذاكرتي حتى اليوم. ولا أنسى الحليّ الذهبية في معصمها الأيسر، كانت على هيئة ثعبان.

تركتني ومضت، مرفوعة الرأس، تمشي بتؤدة ودلال.

بعد أيام قليلة، توفي جدّي_ رحمه الله_ وبعد عامين أو أقل لحقت به جدّتي.

أتذكّر تفاصيل رحيلها جيدًا...

سمعنا جلبة في منزلها المجاور. كانت ترعاها حفيدتها وهي سلوي السر ابنة عمي. ذهبت مع أمي، فوجدناها ترقد على عنقريب عالٍ، ووجهها مكشوف، بنفس الوضاءة والوقار، كأنها نائمة.

وبجوار العنقريب مصلاة دائرية من سعف النخيل، وعلى طرفها عصيدة بالسمن، يظهر فيها أثر إصبعها، كأنها تذوّقتها قبل الصلاة، لكنها لم تأكلها؛ إذ تهاوت قبل أن تُكمل صلاتها.

تابعتُ المشهد عن كثب.

لم يكن أبي حاضرًا؛ فقد ذهب لجلب سكر التموين من دكان التعاون قرب مسجد التلول بعد صلاة العشاء. أُرسل من يخبره، فوصل مهرولًا. لم يُبالِ بالحضور، ووضع يديه على صدرها يدلكه بقوة، ثم خفّت قبضته شيئًا فشيئًا، وانهمرت دموعه تلقائيًا، وجلس على طرف السرير...

لأول وآخر مرة، رأيت دموع أبي.

حينها، أيقنت أنها فارقت الحياة.

ما من جلسة مع أبي وأعمامي إلا وتُعطّر بسيرتها.

يحكون أنها سافرت إلى مصر راجلة حين بلغها أن أحد أبنائها يُهان من قِبل نسابته هناك، فأعادت ابنها، وطلّقته من زوجته، ثم زوّجته بأخرى.

كانت حريصة على بيتها وأولادها، بارة بزوجها، ولم يُسمع يومًا أنها اختلفت معه. أنجبت له سبعة أبناء وثلاث بنات، وكان أهل القرية يتباهون بها ويعدّونها مبروكة. وكانوا يبدؤون بها طقوس الزواج: فهي أول من يدخل غرفة العروسين، وأول من يضع الحناء في أيديهما، وهي أعراف تختص بها من أنجبت سبعة من الذكور. وأظن أن بها صلاحًا، ومن دعواتها المستجابة:(ربي لا تجعل من أبنائي وأحفادي من يتذوّق طعم الجوع)، (صورة رقم 3–4).

وفي إفادة مقتضبة من ابنها، وعمي محمد حسين شبّا:(روضة محمد علي أحمد حاج محمد _أحمد حاج محمد تود_، صاحبة الخليوة، كانت تُكنّى بـأخت أبوها، بينما كانت أختها عائشة العبادية تُكنّى بـأم أبوها.

كان والدها محمد علي كثير الأسفار، مثقفًا، صاحب طرفة وملح، فاكتسبت منه مهارات متعددة في التربية وإدارة بيت الزوجية. أما والدتها عشي أرباب حسن عدلان شيخ محمد، فكانت امرأة حديدية ذات شخصية فريدة ورؤى مستقبلية وقدرات إدارية مميزة؛ أخذت منها روضة الاعتزاز بالنفس، والاعتماد على الذات، والزهد فيما عند الآخرين).

صورة رقم (3)، الحبوبة روضة محمد علي(1963م تقريباً)

صورة رقم(4)، الوالدة أم النصر علي يسار الصورة والحبوبة روضة على اليمين(1983م تقريباً)

وفي زمان ومكان مختلفين، تراءى لي مشهد آخر..

كنت أسمع بالحاجة فاطمة عبد الرحيم، ورأيتها مرات معدودة. وذات مرة، كنت أجالس أحد رفقائي، وكان ساخرًا، فقال في معرض حديثه وهو يتهكم على إحدى نساء القرية إنها تدّعي الزعامة مثل فاطمة عبد الرحيم، وهي لا تملك من مقوماتها شيئًا. علقت هذه العبارة بذهني.

وحين ذهبت إلى سوق الثلاثاء_ السوق الأسبوعي الشهير بمنطقة دنقلا العجوز_ عقدت العزم على مقابلتها وكان ذلك في عام2012م تقريباً. جلست في البرندة الغربية لأترقّب حضورها، لكنها سبقتني فوجدتها جالسة على كرسي، ترتدي عراقيًا وسروالًا بلديًا ملوّنًا، وتلقي بثوب نسائي على كتفيها تغطي به رأسها، فتبدو كأنها أحد شيوخ قبيلة الشكرية.

كان أمامها رجال يجلس بعضهم على عنقريب صغير، وآخرون على الأرض قرفصاء؛ بدا أنهم عمالها في المزارع. كانت تستمع إليهم باهتمام، ثم تصدر توجيهاتها لخطة العمل، وتأمر بعضهم بأخذ حاجياتهم من دكان الجملة القريب.

لمحتني أراقبها، فأومأت لي. ذهبت وسلمت عليها، فطلبت مني الجلوس، وسألتني بصوت جهوري:

إنت ولد منو؟

قلت ليها: ولد المرحوم أحمد شبّا.

هشّت للقائي، وترحمت على أبي، وسألت عن والدتي أم النصر شيخ الدين، وعن إخوتي، وأرادت أن تؤكد معرفتها بنا، ثم أردفت بقولها:(نحنا أهل).

كانت امرأة عملية، حاسمة، مهيبة؛ تقضي شؤونها من مجلسها، تسلّم على البعض، وتسأل عن أحوالهم، وتمازح آخرين من العمال والمتسوّقين، ثم تعود إليّ بالحديث.

استأذنتها للانصراف، فقالت: (تعالوا زورونا في البيت... ولو عندك حاجة هنا نقضيها ليك).

التقطت لها بعض الصور بهاتفي دون إذن. ابتسمت لجرأتي، وعدّلت جلستها. ورغم ما في حركاتها وصوتها من صرامة تُحاكي الرجولة، إلا أن أنوثة واضحة وجمالًا رصينًا وحنان أمٍّ لا تخطئه عين، كانت تطغى على حضورها.كانت امرأة من طينة أخرى.

كان ذلك أول لقاء بها وآخره، رغم أنني وعدتها بإجراء لقاء مسجّل، وسجّلت موافقتها في فيديو هاتفي، لكنه—للأسف—فُقد.

تراءت لي صورة هاتين المرأتين العظيمتين، وأنا أبحث عن نموذج أوثق من خلاله سيرة المرأة النوبية، يصل الحاضر بالماضي. فرجحت كفة الحاجة فاطمة عبدالرحيم، لتوفر المادة التوثيقية عنها، ولأن دورها تجاوز حدود قريتها.

لم أضيّع وقتًا؛ أرسلت رسالة مقتضبة في مجموعة أنساب سيد أحمد—وهي مجموعة اجتماعية في الواتساب تضم أسرتي من جهة جدة أبي—أبدي فيها رغبتي في توثيق سيرة الكنداكة فاطمة عبدالرحيم، بعد أن حزمت أمري وفق معايير عدة، من بينها شهرتها على مستوى القدار وقرى وحدة دنقلا العجوز، ودورها الاجتماعي والاقتصادي، ومبادراتها المتعددة، التي تجاوز صداها حدود المنطقة. كما فازت بجائزة الإبداع لنساء الريف التي نظمتها الاتحاد العام للمرأة السودانية على مستوى الولاية الشمالية، ثم على مستوى السودان، ورُشحت لاحقًا على مستوى القارة الإفريقية، وكانت ضمن ألف امرأة من العالم رشحّن لجائزة نوبل للسلام.

تواصلت معي هند، ابنة أخيها المرحوم عمر عبدالرحيم_ أحد رجال الأعمال العصاميين في السودان_عبر الواتساب، مشجعة ومؤيدة للفكرة، وأمدّتني بأرقام بنات الكنداكة فاطمة عبدالرحيم، اللاتي شكّرنني ودعمذن مشروع التوثيق.

ثم تطور الأمر إلى إنشاء مجموعة واتساب ضمّت عددًا من أهلها ومعارفها، قام بعبئها العم عزالدين سعيد إدريس، وذلك لتبادل المعلومات والصور المتعلقة بسيرتها. فلهم جميعًا خالص الشكر والتقدير والعرفان على هذا التعاون الكبير.

هذا الكتاب، الذي اخترت له_ بالتشاور مع البروفيسور حاتم الصديق_ عنوان: (فاطمة عبدالرحيم: سيرة كنداكة نوبية معاصرة)، وأعضاء المجموعة في الواتساب.

وأحسبه عنوانًا موفقًا لعمل توثيقي عن امرأة تمتد جذورها إلى منطقة دنقلا، عاصمة مملكة المقرة وأرثها يغوص في عمق التاريخ السوداني في مروي ونبتة وكرمة.

وهنا لابد من وقفة عند هذا اللقب وإضاءة خافتة عن صاحبات هذا اللقب الرفيع والعظيم بقدر عظمة المرأة السودانية منذ القدم وإلى يوم الناس هذا، ونقتبس بعض الفقرات مما خطه استاذى البروفيسور عمر حاج الزاكي في كتابه القيم (مملكة مروي- الحضارة والتاريخ) معرّفاً بجذور ودلالات لقب كنداكة:

تسامى قدر المرأة في المجتمع المروى بصورة واضحة منذ القرن الثالث قبل الميلاد انعكاساً لإرتفاع مكانة النساء الملكيّات وتقدمهن نحو الصدارة بعد أن ظللن خلف الملوك لقرون عديدة. يقررن وراثة العرش ولكن لا يجلسن عليه، والتطور الذي طرأ على وضعهن كما يتأكد من بعض الشواهد النّصية والأثرية الأخرى جلوسهن على عرش المملكة أسوة بالرجال. ويبدو أن أول ملكة تبوأت ذلك المنصب هي الملكة (برتاري) (280 ق.م)، وبعد برتاري بقرن تقريباً جلست الملكة شنادخيتي (170 ق.م) على عرش المملكة، وما أن حل القرن الأول قبل الميلاد حتى تعاقب على مركز الصدارة عدد من النساء الشهيرات اللآئي تركنّ بصماتهن على آثار المملكة وتحقق لبعضهن الجلوس على العرش أو مشاركة أزواجهن الملوك في السلطة. ومع ما حققته بعض النساء الملكيات من مكانة ابتداء من القرن الثالث قبل الميلاد، دلت عليها آثارهن، ظهر أيضا مع أسمائهن اللقبين ( كور وكدكي ) أو أحد اللقّبين دون الآخر وهناك إجماع حول اللقب المروي ( كور ) الذي يعني الملك. واللقب الآخر الذي أُلحق بأسماء عظيمات مروي كتب في المروّية بأساليب ثلاثة هي :

( كدكي ) و ( كت - كي ) و ( كد - وي ).

وفي غير المروّية كتب هذا اللقب بطرق مختلفة قليلا هي: كلكي، وكنتكي في الهيروغليفية المصرية، و كندكي عند الكتاب الكلاسيكيين، وكنديسي في اللغات الأوروبية الحديثة، وكنداكة في اللغة العربية، ورغم تقارب الطرق التي نطق بها هذا اللقب في شتى اللغات فقد تباينت الآراء حول معناه ومدلوله، وبينما اعتبر بعضهم لفظ كنداكة، اسماً أكد آخرون أنه لقب مروي رفيع، ولكن وبعد أن أمكن قراءة الكتابة المروية ومعرفة معاني بعض مفرداتها وبعض قواعدها ذهب الخلاف حول مدلول لفظة كنداكة اللغوي. ومن سياق محتويات هذه النصوص المروية الواردة عن كلمة كنداكة تبين أربع حقائق هي :

أولاً: إن لفظ كنداكة، ليس اسماً، لوجود اسم حاملة اللقب في كل مرة.

ثانياً: إن لفظ كنداكة لا يعني الملك أو الملكة لان كلمة كور ( الملك، الملكة)اطلقت على الكنداكات أماني رينس وأماني شنادخيتي.

ثالثاً: لم يلحق هذا اللقب في الكتابات المروية بغير النساء الملكيّات، وهذا يجعلنا نخلص إلى ال لفظ وكنداكة كان من القاب عظيمات مروي.

رابعاً : إن بعض الكنداكات - أماني ريناس وأماني شاخيتي - حملن اللقب كور (ملك) الدال على جلوسهن على عرش المملكة.

ويبقى التساؤل عن حقيقة تولي النساء الملكيات للسلطة الفعلية - الأمر الذي لم يتم لسالفاتهن الأوائل !!

ومن الواضح أننا لا نملك من الأدلة ما يمكن من الوصول إلى إجابة ناجزة عن الكيفية التي وصلت بها، برتاري، ( 280 ق.م) أول امرأة معروفة لدينا تجلس على عرش مروي، إذ ربما كان ذلك نتيجة لصدفة جعلتها وصية على عرش ابن أو أخ قاصر أو نتيجة لغياب وريث مستوف للمعايير الوراثية التي حددتها الأعراف والتقاليد عندهم .

أما بداية القرن الثاني قبل الميلاد فقد شهدت تبؤ الملكة شنادخيتي (170-160 ق.م) عرش المملكة، وبقيت على مقصورة هرمها صورة لشخص يافع يرجح أنه ابن أو اخ قاصر قامت شادخيتي وصّية على عرشه. وفي القرن الأول قبل الميلاد تصاعد نجم النساء الملكيات بصورة لم يسبق لها مثيل في التاريخ المروي، إن هذه المكانة التى بلغتها الكنداكات في مروي لا يمكن فصله عما سبق ان كسبته النساء الملكيات خاصة الأم والزوجة في صدر الدولة المروية لأن السيدات الملكيّات ظللن يحتفظن بمكانتهن على مر القرون بسبب دورهن الإيجابي في تحديد وراثة العرش حسب الأعراف والتقاليد الدينية المروية، وربما يكون لقب كنداكة موازياً للقب أم الملك الذي عرف في النصوص الملكية المكتوبة بالهيروغليفية. المصرية، والشاهد على تعظيم النساء عموماً بين المرويين أن لوحات القرابين المكتوبة باللغة المروية لعي الملوك أو افراد الأسرة المالكة كشفت عن حرص أصحابها على الانتساب للام قبل الاب وقد كان الميت يعرف نفسه بأمه، ومن أشهر الكنداكات أيضاً أماني ريناس(40-10ق،م) التى لُقبت بالمرأة المستّرجلة، (صورة رقم 5).

صورة رقم(5)، الملكة أماني رينا

ولعلنا نرى فيما عرف عن تعظيم للنساء في العهد المسيحي في السودان وفي بعض موروثات المجتمع السوداني الحديث صدى للتقاليد المروية التي عظمت دور النساء، وفي العهد المسيحي جاء في قول أحد ملوك النوبة: ( إن أمرنا بايدي نسائنا)، وكانت للمرأة أدواراً في البلاط الملكي النوبي وذلك بالمحافظة على وراثة العرش والمساهمة في شئون الحكم، وكانت تلقب بالملكة الأم، (صورة رقم6).

صورة رقم(6)، الملكة النوبية مارتا في حماية العذراء والطفل المسيح

بمساعدة أسرة الكنداكة فاطمة عبدالرحيم، تمكّنتُ من الحصول على مصدرين مهمّين تناولا جانب من سيرتها:

المصدر الأول: كتاب أشار إلى ترشيح الكنداكة فاطمة عبدالرحيم ضمن ألف امرأة تم اختيارهن من مختلف دول العالم لنيل جائزة نوبل للسلام لعام 2005م. وقد تم تضمين سيرتها ودورها الاجتماعي والاقتصادي في كتاب بعنوان:

(1000 امرأة من أجل السلام عبر العالم – Peace Women Across the 1000 Globe). من إصدار: كونتراست (KONTRAST). نشرته جمعية1000 امرأة من أجل جائزة نوبل للسلام 2005م.

يوثّق هذا الكتاب قصص ونضال ألف امرأة جرى ترشيحهن جماعياً لجائزة نوبل للسلام في عام 2005م، وذلك بهدف تسليط الضوء على الدور المحوري الذي تضطلع به المرأة في بناء السلام على المستوى العالمي.

المصدر الثاني: سعدتُ بمقابلة الأستاذة سوسن عبدالرحيم حمد عبدون، مدير إدارة الخدمات بالصندوق القومي لرعاية الطلاب بالولاية الشمالية، بمدينة دنقلا يوم 23 ديسمبر 2025م، التي تفضّلت مشكورةً بتسليمي شريطين من نوع (BETACAM / SP)، تضمّنا سيرةً مصوّرة لأنشطة الكنداكة فاطمة عبدالرحيم، إلى جانب توثيق برنامج جائزة الإبداع لنساء الريف. كما قدّمت لي الأستاذة سوسن إفادات قيّمة حول الكنداكة فاطمة عبدالرحيم، ودورها ومشاركتها في إعداد برنامج الترشيح لجائزة الإبداع لنساء الريف عبر الاتحاد العام للمرأة السودانية بالولاية الشمالية ومضمون الشريطين، وسعينا مازال مبذول لتفريغ مادتهما. وقد وثّقت هذه الفعاليات في دراسة إكاديمية الطالبة:إقبال جعفر الحسين، بعنوان(إسهامات المرأة في التنمية الريفية: دراسة تطبيقية على النساء الفائزات بجائزة الإبداع لنساء الريف في الفترة من (1999–2001م)، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الزراعة، أم درمان، السودان، 2002م. وتُعد هذه الرسالة مرجعًا علميًا مهمًا في توثيق دور المرأة الريفية في التنمية بالسودان، إذ تناولت إسهامات النساء الفائزات بجائزة الإبداع لنساء الريف خلال الفترة المشار إليها، بوصفهن نماذج عملية للتمكين والإنتاج والمبادرة المجتمعية. وقد جاءت فاطمة عبد الرحيم ضمن النماذج التي تعكس بوضوح مضمون الدراسة، بما جسدته من إسهام فعلي في العمل الزراعي والإنتاجي وتحسين سبل العيش في محيطها الريفي.

وخلصت الدراسة إلى أن المرأة الريفية تشكل ركيزة أساسية في مجالات الزراعة والمشروعات الصغيرة وتنمية الدخل الأسري، وأن الاعتراف المؤسسي عبر الجوائز يسهم في تعزيز الثقة وبناء القدرات القيادية وتحسين الأوضاع المعيشية. كما رصدت الدراسة جملة من المعوقات الاجتماعية والثقافية التي تحد من توسيع دور المرأة في التنمية الريفية، وأوصت بتبني سياسات تمكين شاملة تقوم على التدريب والتمويل والإرشاد.

ويجدر التنويه إلى أن الاطلاع على النص الكامل للرسالة لم يتيسر بسبب فقدان نسخ منها في الخرطوم جراء ظروف الحرب، وقد تم الاعتماد في هذا العرض على مضمون الرسالة كما ورد عبر التواصل المباشر مع صاحبة الرسالة، إلى جانب المستخلصات المتاحة في بعض المواقع الإلكترونية. كما تم التواصل مع الأستاذة رجاء حسن خليفة، رئيسة الاتحاد العام

للمرأة السودانية في الفترة التي تزامنت مع فعاليات الجائزة، للاستفادة من المعلومات والتوثيق الخاص بالجوائز والفعاليات فيها.

ومن المصادر المهمة لمادة هذا الكتاب المقابلات الشخصية للمعاصرين للكنداكة فاطمة عبد الرحيم، والذين عملوا معها في مجالي التجارة والزراعة، وتم توثيق هذه المقابلات في نهاية الكتاب، كما لعبت الصور الفتوغرافية للكنداكة فاطمة عبد الرحيم المربوطة بالأحداث مادة أساسية في التوثيق لسيرتها. ومعلوم أن المادة البصرية تختزل الكثير من الكلمات.

هذا الكتاب يجمع بين المنهج العلمي القائم على التثبت من المعلومة من مصادرها الأصلية، وفق المعايير العلمية والأكاديمية، وإحالة القارئ إليها في نهاية الكتاب، ومنهج السرد البسيط المباشر، بالاستفادة من المعلومات التاريخية المتراكمة لدى الكاتب، أز بمعنى آخر اعتمد هذا الكتاب على منهجية تجمع بين التوثيق التاريخي والأسلوب الأدبي، في محاولة لكتابة سيرة متوازنة تحافظ على دقة الوقائع من جهة، وتمنح السرد بُعده الإنساني من جهة أخرى. وقد استند إلى الروايات الشفاهية، وشهادات المعاصرين، والوثائق المتاحة، وربطها بالسياق الاجتماعي والثقافي والتاريخي للمجتمع النوبي، مع إخضاعها للمقارنة والتحليل قدر الإمكان، بما يُبرز ملامح الشخصية الإنسانية للكنداكة ويقارب تفاصيل حياتها دون إخلال بالأمانة العلمية أو انزلاق إلى التخييل، لتبقى السيرة وثيقةً معرفية وشهادةً إنسانية في آنٍ واحد. ويسعى هذا المنهج إلى أن يكون الكتاب مرجعًا توثيقيًا ونصًا مقروءًا بسلاسة، يخاطب الباحث والقارئ العام معًا، ويُسهم في إثراء كتابة سِيَر النساء النوبيات بوصفها جزءًا أصيلًا من التاريخ الاجتماعي والثقافي للسودان.

وتم تقسيم مادة الكتاب على النحو التالي:

تمهيد عام كمدخل للسيرة وأسباب إختيار الشخصية المراد التوثيق لها، يتناول الفصل الثاني التعريف بالجذور الجغرافية والنسبية والاجتماعية للكنداكة فاطمة عبد الرحيم، ببعده التاريخي والحضاري. أما الفصلين الثاني والثالث يستعرضان مكان ميلادها ونشأتها، وأهم الملامح التى كوّنت شخصيتها. التى بزرت أمام تحدبات الواقع ومواجهة التحديات. يربط الفصل الرابع بين مظاهر استمرارية الدور الاجتماعي والاقتصادي المهم للمرأة النوبية السودانية، وبين شخصية فاطمة عبد الرحيم. يتوقف الفصل الخامس عند لحظات الوفاء والتكريم التي حظيت بها من المجتمع والدولة على المستوى المحلي والإقليمي

والدولي. أما الفصل السادس والأخير خُصص لشهادات وكلمات بعد رحيل الكنداكة، ممن عرفوها وعايشوها.

نكرر آيات الشكر والتقدير لكل من ساعد وساهم في أن يرى هذا العمل التوثيقي النور، بالمعلومة أو الرأي أو التشجيع، وكلنا أمل أن يكون هذا الكتاب إضافة مفيدة للتاريخ الاجتماعي السوداني والعربي والإفريقي، ومساهمة في التوثيق لدور المرأة في التاريخ الحديث.

# الفصل الأول

# تشابك الأنساب والجغرافيا والتاريخ

# الفصل الأول

# تشابك الأنساب والجغرافيا والتاريخ

يدور الجزء الأكبر من مسرح أحداث هذا الكتاب التوثيقي في قرية القدار، بالقرب من مدينة دنقلا، عاصمة مملكة المقرة، ثم العاصمة الاتحادية بعد تحالف مملكتي مقرة نوباتيا ومقرة في مطلع القرن الثامن الميلادي. وتقع على الضفة الشرقية للنيل على ربوة عالية تتوسط ما بين الشلالين الثالث والرابع، عند بداية منحنى النيل من الشمال، وهي تحتضن أهم آثار الفترتين المسيحية من كنائس وأديرة ومقر للحكم، وبواكير الفترة الإسلامية من مساجد وخلاوي وقباب. عُرفت هذه المدينة بعدة أسماء؛ فعند الأهالي تُنطق "تُقل" بضم الحروف الثلاثة، وكذلك "تُنقل"، واشتهرت بعد الفترة الإسلامية باسم الصلاح بضم حرف الصاد، وأُطلق عليها اسم دنقلا العجوز بعد نشأة مدينة دنقلا الحديثة عاصمة الولاية الشمالية، وكذلك عرفت بدنقلا القدار، غير أنّي أفضل اسم دنقلا بغير توصيف (خريطة رقم1، صورة رقم 7).

خريطة رقم(1)، توضح جغرافية المنطقة

صورة رقم(7)، جانب من مدينة دنقلا وتظهر فيها بعض المباني الكنسية

تنتسب صاحبة السيرة الكنداكة فاطمة عبد الرحيم، التي نسلط عليها الضوء في هذا الكتاب التوثيقي، إلى أسرة بشارة على برسي العريقة في منصوركتي، إحدى أهم قرى منطقة الدفار الشهيرة في السودان. والدفار في الأصل اسم أُطلق على منطقة بها قلعة قديمة، وتقع على الضفة اليمنى للنيل، وتبعد نحو 9 أميال عن أبي دوم قشابي. أما الامتداد الجغرافي للدفار – التي اشتهرت في المدونات التاريخية السودانية باسم "مملكة الدفار الإسلامية" – فهي المنطقة الممتدة على النيل عند منُحناه الكبير (شرق – غرب) من دنقلا العجوز شمالاً وحتى الضيقة جنوباً، وهي تكاد تكون مطابقة إلى حد كبير للحدود الحالية لمحلية الدبة في التقسيم الإداري الحالي للولاية الشمالية. وهذه الحدود تقريبية في الغالب؛ لأن القول بوجود حدود واضحة للجغرافية السياسية في تلك الفترة قد يجافي الحقيقة؛ فالامتدادات السياسية للكيانات الموجودة في تلك الفترة كانت تعتمد على قوة ونفوذ الكيان نفسه. وإن كان من قول حول الأهمية الجغرافية لإقليم الدفار أو المنحنى، فإن هذا الموقع يعتبر مهماً واستراتيجياً لأنه يمثل القلب النابض في منحنى النيل العظيم، الذي يغير مجراه (جنوب – شمال) ليمتد شرقاً وغرباً ليكون رابطاً بين الصحراء الشرقية وساحل البحر الأحمر من جهة، وبين الصحراء الغربية ومناطق دارفور وكردفان من جهة أخرى. وبهذا الموقع، مثلت منطقة الدفار وامتداداتها بؤرة للتفاعلات الاجتماعية والثقافية والسياسية، نتج عنها

حضارات عظيمة قامت على ضفاف النيل على مر الحقب التاريخية، وظهرت في هذا الإقليم أولى المستوطنات البشرية على وجه هذه البسيطة في منطقة العفاض. واستمر تأثير المنطقة حتى آخر المنعطفات الحضارية المحورية في تاريخ السودان، حيث مثلت بؤرة للتحول الديني من المسيحية إلى الإسلام، وقامت في أرجائها أولى الخلاوي الدينية التي أسهمت بصورة كبيرة في نشر التعاليم الإسلامية في السودان. وصاحب هذا الدور الأساسي في التحول من المسيحية إلى الإسلام، تحول سياسي من أحد المراكز الإدارية المهمة في مملكة المقرة المسيحية إلى أولى الإمارات الإسلامية في السودان، والتي اشتهرت بمملكة الدفار.

انتقل أحد أفراد هذه الأسرة شمالاً إلى مناطق دنقلا العجوز، وكوّن لاحقاً أسرة كبيرة هناك تنتمي إليها فاطمة عبدالرحيم. وهذا يقتضي منا التعريف بجذور هذه الأسرة وخط سير هجرتها وأسبابها. إن المتواتر في روايات أهالي منطقة الدفار أن سكان المنطقة الأصليين هم المقابدة، ويقال إن جدهم أم باب بكر مدفون بـــجقر نارتي، ومن ذريته النصراب والياسيناب بـــ"قنتي"، والمقابدة، والعوقاب بـــأرتموقة، وفقير نكتي. كذلك لهم فروع في دنقلا وغيرها. ويُروى أيضاً أن الشيخ أحمد بن محمد بن حامد، المشهور بـــأحمد البيلي نسبة إلى منطقة بيلة الواقعة شرقي مكة المكرمة، وهي المنطقة التي وفد منها إلى السودان عن طريق البحر الأحمر (عبر ميناء جدة)، وأقام مع ثلاثة آخرين في بلدة شندي، وكان ذلك تقريباً عام (932هـ / 1526م). ثم انتقل الشيخ أحمد البيلي إلى ديار الشايقية وأقام في تنقاسي، وتزوج بنت الشيخ سراج ولد مالك الركابي، وأنجب منها ابنه عووضة عام (1040هـ / 1631م). وبعد وفاة والده، انتقل عووضة من تنقاسي إلى خلاوي أولاد جابر بشرق النيل، وحفظ القرآن على مشايخهم. وقيل إنه حفظ القرآن في خلوة والده، وصار سائحاً بقرآنه حتى استقر به المقام في قرية فقيرنكتي، فبنوا له خلوة (مسيد). واستضافه عمدة المنطقة الغربية للنيل، العمدة الشيخ بشارة بن علي برسي الملقب بـــالغرباوي_ وهو اللقب الذي أطلقه عليه الشيخ إبراهيم البولاد بن جابر؛ وذلك لكثرة اسم بشارة في المنطقة بين الطلاب، ولكونه كان يأتي للدروس من غرب النيل بالمركب_، وتزوج الشيخ عووضة دارة المقام، وقيل دارة بنت العمدة بشارة.

ويبدو أن ثمة صراعاً قد حدث بين أصحاب الأرض وبين السلطة الدينية التي أخذت تزاحمهم في مصالحهم، حيث تشير الروايات المتواترة - وسمعها أيضاً الكاتب في المنطقة -

إلى واقعة تُعرف بـقطعة أولاد ألس. ملخصها أن أربعين شاباً من شباب المقابداب – أهل المنطقة – اتفقوا على قتل الشيخ عووضة بهدم خلوته عليه. ويقال إن السبب في ذلك أنه كلما وُلد له ولد، يُكرمه أهل المنطقة بمنحه ساقية – وهي أرض زراعية متوسط مساحتها 8 أفدنة – فلم يرضهم ما يفعله أهلهم مع هذا الشيخ. فقاموا بربط حبل قوي وسميك يعرف بـالألسأو ألس- بضم الحروف الثلاثة ولعله الحبل المستخدم في الساقية المعروف بهذا الاسم – حول الخلوة تمهيداً لهدمها. فشاهدهم أحد تلاميذ الشيخ عووضة، فأخبر شيخه المتواجد مع تلاميذه داخل الخلوة. فأخذ الشيخ عووضة بيده حفنة من تراب الخلوة وذرّها في الهواء، فطار على إثرها الشباب الذين حاولوا هدم الخلوة، كل مجموعة إلى جهة، ولم يُعرف لهم مكان حتى الآن. وعُرفت هذه الحادثة بـ"قطعة أولاد ألس"، وهي من الروايات ذائعة الصيت في المنطقة. ورغم أن في هذه الرواية نوعاً من المبالغة، ولكن يبدو أن فيها قدراً كبيراً من الحقيقة حول الصراع الاجتماعي والثقافي والاقتصادي في المنطقة في تلك الفترة. وتربط إحدى الروايات بين هذه الحادثة وهجرة محمد ووالده بشارة الغرباوي عمدة المنطقة نحو الشمال.

وهناك روايات تورد أسباباً أخرى للهجرة؛ منها أن صراعاً وخلافاً حدث بين أولاد بشارة الغرباوي حول خلافة والدهم أدى إلى هجرة أولاده. وقيل أيضاً إن سبب مغادرة محمد بشارة للمنطقة على حسب رواية عمر عبد الرحيم: أن سباقاً للحمير جرى في إحدى المناسبات، ففاز عليه أحد المتسابقين، وعلى إثره نشب بينهما خلاف فقتله محمد وهرب شمالاً محتمياً بحكام كنكلاب. ثم انتقل إلى شرق النيل واستقر في منطقة المقاودة، وتزوج من حفيدة حسين شبّا أحد حكام المنطقة، وصاحب دب (قصر) أو قلعة المقاودة – الواقعة جنوب المقاودة (مصر الجديدة). حيث تقول روايات هذه الأسرة أن النور حسين شبّا تعرض لضغوطات من الحموراب المتواجدين في منطقة تنفسي جنوب دنقلا العجوز، مما اضطره للهجرة شمالاً والاحتماء بملك أرقو الذي أسكنه مع أهله وحشمه في جزء من جزيرة بدين المعروف بـبدين شبّا، وبقي في منطقة المقاودة ابنه حسين المشهور بـحسين قيلي_ كان شيخ خلوة في إحدى الروايات _ والد فاطمة، وهي التي تزوجها محمد بن بشارة المشهور بـ"بشارنتود" – أي ابن بشارة – وأنجب منها ابنه بشارة الذي تزوج نورة دهوب، ابنة أحمد أغا المأمور التركي للمنطقة، وتزوج أيضاً من سّرية. وتجد هذه الرواية صدى كبيراً في المنطقة، حيث كانت توجد مخطوطة للأنساب منسوبة لحسن عثمان فرح وقيلي

بصير، ترجع لأكثر من 60 عاماً - فُقدت الآن - تؤكد هذه الرواية، ويعضدها الذين عاصروها. وهناك أيضاً أسرة بشير حمدين التي جاءت من نفس المنطقة (الدفار - فقير نكتي) - وهي تنتمي إلى البلياب، وجاءت في فترة تالية أيضاً حمد تود. وفي زيارة الكاتب لمنطقة الدفار، لاحظ وجود هذه الروايات في منطقتي فقير نكتي ومنصوركتي، كما وقف على أطلال ما يُعرف بـ"حوش بشارة الغرباوي" في منصوركتي.

وتقول بعض الروايات أن محمد (بشارنتود) هو من أطلق اسم قبيلته مقابدة على منطقة هجرته الجديدة، فعُرفت بـمقابدة، ثم حُرفت إلى مقاودة. وإذا سلمنا بأن مقابدة حُرفت إلى مقاودة، وحصل إبدال حرف الباء إلى حرف الواو، فهذا أمر وارد جداً، كما أنه من الممكن تحريف مقاودة"إلى "مقابدة"؛ لأن هذا الاسم قد يكون أقدم من هذه الفترة، وخاصة أن هناك تداخلاً سكانياً كبيراً بين منطقتي دفار ومنطقة المقاودة.

أنجب بشارة محمد بشارة أربعة أبناء وهم:

1- سيد، جد حسن محجوب بالمقاودة.

2- نقودي، جد الفرحاب بالمقاودة.

3- سلطان، جد السلاطين بكنكلاب والقدار.

4- علي فور.

وأنجب كذلك إحدى عشرة بنتاً شكّلن قطاعاً كبيراً من النسيج الاجتماعي للمنطقة، وهن:

1- عشي، جدة آل شبّا (شبنجي) بالمقاودة.

2- مياسة، جدة آل نقد علي (نقد علينتود) بالمقاودة.

3- دارة، جدة آل حسين دياب (حسينجي) بالمقاودة.

4- صليحة، جدة الأسداب بكنكلاب.

5- زنوب، جدة الخليلاب (خلينجي) بكدكول.

6- سعيدة، جدة سعيد إدريس بالمقاودة.

7- نورة، جدة آل شنقي (شنقجي) بالمقاودة.

8- عشمانة، تزوجت من بدين، جدة عزالدين السيد.

9- ليلى، جدة آل أحفاد فقير (فقير نسنجي) بالمقاودة.

10- آمنة، جدة عوض الكريم جاد الرب بلتي.

11- مقودة، تزوجت بكجبار.

وعُرف أبناء أحفاد محمد بشارة في المقاودة بـالمقاودري، وانتقلت إليهم الإدارة الأهلية المتمثلة في شياخة المقاودة. ويُرجح أن سلطان انتقل إلى كنكلاب، مكان هجرة جده الأول، وربما كانت تربطهم بحكامها علاقة ما. ويُضيف النسّابة محمد علي مختار (المختير): أن سلطان تزوج من بيت الإدارة الأهلية فيها، وأنجب ابنه محمد الذي انتقلت إليه شياخة كنكلاب وجزيرة الرحمن، وعُرف أبناؤه بـ"السلاطين". ولعل هذا مؤشر لصدى استمرار عادات توريث الحكم النوبية في مملكة المقرة، حيث كان المُلك ينتقل إلى ابن البنت، وفي العدم إلى ابن الأخت. وفيما يلي تفصيل هذه العلاقة الاجتماعية الإدارية:

تزوج فضل الله ساتي من أم الحسن بنت أبوبكر عوض البادنابية، وأبوبكر هذا شقيق العُهدة صالح عوض. والعُهدة كان يجمع بين يديه كل السلطات المحلية، وهم أساساً أحفاد ملوك الدفار. وأم الحسن هي بنت أخ العُهدة صالح، وكما ذكرنا نفوذ النساء في بيوت السلطة. أنجبت أم الحسن بنت أبوبكر عوض ساتي فضل الله، وكان شيخ القدار.

وكذلك سلطان محمد بشارة تزوج آمنة عبد الله بنت مكدار عوض شقيقة صالح عوض، وأنجب منها عثمان سلطان ومحمد سلطان. وأصبح محمد سلطان محمد بشارة شيخ كنكلاب وجزيرة الرحمن. وعثمان سلطان أنجب عبدالرحيم والد فاطمة صاحبة هذه السيرة.

في هذا السياق، تنتمي فاطمة عبدالرحيم إلى منطقة الدفار من جهة جدتها لوالدها عبد الرحيم واسمها الزلال، وهي أسرة معروفة في المنطقة، وتذهب بعض رواياتها إلى أنها من سلالة ملوك الدفار. وقد استقر أفراد هذه الأسرة في قرية المقاودة بعد هجرتهم من منطقة

قنتي، وذلك عقب انهيار مملكة الدفار قبيل الغزو التركي للسودان عام 1821م؛ وهم أحفاد سيد أحمد إدريس ويعرفون باسم قسوة توقري.

وتذهب بعض روايات أسرة السلاطين بالقدار إلى صلتهم بسلاطين الكيرا وهي

سلالة حاكمة تاريخية لسلطنة دارفور، تعود أصولها إلى الفور، وأشهر سلاطينها سليمان سولونق مؤسس السلطنة في القرن السابع عشر. حكمت دارفور حتى عام 1916م، ولا يزال اسم «كيرا» يظهر من حين لآخر كلقب عائلي دال على الانتماء أو الارتباط التاريخي بتلك السلالة. ولا نستبعد مثل هذه العلائق الاجتماعية بين حكام المناطق النيلية ودارفور في إطار تقوية التواصل السياسي والاجتماعية بين الكيانات السياسية في تلك الفترة.

نعود إلى العُهدة صالح عوض، صاحب القرار في اختيار شيوخ المنطقة، وكان له دور بارز في الإدارة الأهلية حتى ذاع صيته. وكان مقر إقامته في كنكلاب، الواقعة بالضفة الغربية للنيل قبالة مدينة دنقلا، عاصمة مملكة المقرة إلى الشمال قليلاً. وكانت كنكلاب إحدى أهم المراكز الإدارية للمملكة، وصارت مقراً لحكامها في مرحلة متأخرة أو إمارة مستقلة ينتسب حكامها إلى الملك (أور) ناصر، وما زال أحفاده موجودين. وفي العهد التركي، تم تعيين صالح عوض عُهدة للمنطقة. وتختلف الروايات حول استقراره بجزيرة الرحمن بعد تكونها في حوالي عام 1850م (سوف نفصل في هذا الموضوع) أو انتقاله إلى الشرق مباشرة واستقراره في منطقة جقوب ثم القدار. ولعل ما يهمنا هنا هو الفترة التاريخية؛ لأنها تلقي الضوء على أحداث تلك الفترة.

أما مصطلح "عُهدة"، ففي إفادة من البروفيسور إبراهيم أبوشوك: "دخل إلى قاموس الإدارة المحلية في السودان في العهد التركي المصري (1821-1881م)، ثم عُدّل إلى "عُمدة" وصار يُطلق على شاغلي المناصب الوسيطة بين مشايخ القرى أو الفرقان والنظار". في هذا يذكر يوسف مخيائيل في مذكراته: "عندما تحضر الجمعية يكون عندنا نحن التلامذة كأنه يوم عيد وموسم جديد لأجل الاكتساب من العربان المتظلمة. من يقول: (أنا مظلوم)، وذاك يقول: "أنا مظلوم من العهدة ومن الشيخ. وكترت الشكاوى والدعاوي للحكومة من كترت الظلم الحاصل على العربان من هولاى المذكورين، وخصوصاً من عساكر الشا[يـ]ـقية في تحصيل الطُلبة. ومن يقول: (عشرة في تُربة ولا الطُلبة). ومن يقول "القبر ولا صبر"، وصبر

المذكور ابن عبد الهادي أغا وهو عهدة وظلم العربان حتى نفرت منه، وفي الأصل هم دناقلة. والعهدة حاكم، وشبيه لـأغا التركية. فقد ورد في مدح العامل حسونة الأغا محمد كنيش:

ود كنيش عهدة علي الرجال

وقايدن لا حد الجبال

ولا طرف مقرات والطوال

ومن حفيرا وترد الشلال

وهنا نشير إلى أن العُهدة ود كنيش، المسؤول عن منطقة الشايقية، كان متزوجاً بنت العُهدة صالح ود عوض بالقدار. وهذا الزواج مدعاة للوقوف عنده؛ لأن ربط الحكم والإدارة بالمصاهرات عادة قديمة في السودان، واشتهرت في فترة سلطنة الفونج (1504-1821م)، فكانوا يزوّجون بناتهم لحكام المناطق التي تحت إدارتهم، وربما لربطهم بالسلطنة الفونجية. ولعلنا نلاحظ استمرار هذه الظاهرة في فترة الحكم التركي للسودان بين النظار والعمد.

عوداً على عنوان هذا الفصل حول تشابك الجغرافيا والتاريخ والأنساب، فنجد أصول هذه الأسرة جاءت من منطقة الدفار، من منصوركتي تحديداً، وهي منطقة تفاعل حضاري وثقافي، كان وما زال لها أثر كبير في تاريخ السودان، فقد فرّخت عدداً كبيراً من العلماء والمبدعين والقادة الأفذاذ الذين أثروا الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في السودان. ثم انتقل مؤسس الأسرة محمد بشارة، ابن عمدة منصوركتي، لسبب من الأسباب إلى منطقة كنكلاب التي تمثل آخر مظاهر الحكم في مملكة المقرة، والتي شهدت أولى معارك الدفاع عن السودان ضد الغزو التركي، وقُتل فيها أكثر من مائة وخمسين من جنود حملة الغزو التي طمست معالم الممالك الصغيرة التي خلفت مملكة المقرة. ثم انتقل حكم المنطقة إلى العُهدة صالح ود عوض. ونزعم اعتماداً على النسق الاجتماعي الذي كان سائداً آنذاك، أن ثمة علاقات مصاهرة أو رحم كانت تربط بين بشارة علي برسي والد محمد وحاكم كنكلاب جعلته يلجأ إليها، وخاصة أن العُهدة صالح كما يقال ينتسب إلى حكام الدفار. ومن الملفت للنظر هجرة معظم الأسر الدفارية الحاكمة والدينية إلى مناطق دنقلا العجوز والقولد. ثم انتقل محمد إلى منطقة المقاودة بالضفة الشرقية للنيل المقابلة

لكنكلاب، وهي تعتبر من المناطق المهمة وامتداداً حضرياً للعاصمة دنقلا أو لتوقل كما يسميها أهلها. ومن المحتمل أنها كانت تمثل منطقة استيطان بعض الأسر الملكية في دنقلا، تشهد على ذلك المواقع الأثرية المرتفعة في شكل قلاع، وهي عديدة ومتجاورة في خط واحد. ويبدو أن محمد بشارة بثقله الاجتماعي والأسري قد تزوج من زعماء المنطقة كما تزعم الروايات، ثم أصبغ اسم قبيلته التي ينتسب لها على مقره الجديد، فعُرف باسم "مقاودا" أو "مقاودة". فأنجب ابنه بشارة الذي تزوج ابنة المأمور التركي في المنطقة أحمد أغا، وهي عادة درجت عليها الأسر الكبيرة – كما بينا –. وعاد أحد أحفاد سلطان بشارة إلى كنكلاب ليصاهر العُهدة صالح، ثم أصبح ابنه محمد شيخاً على كنكلاب وجزيرة الرحمن. وبعد فيضانات عام 1946م، ارتحلت معظم الأسر من جزيرة الرحمن إلى كنكلاب والقدار، ومنها بعض أفراد أسرة الشيخ سلطان وزوجته فاطمة عبد الرحيم. الذي ورث الشيّاخة عن والده، والتي تعتبر جزءاً من عاصمة مملكة المقرة والمملكة النوبية بعد اتحاد مملكتي نوباتيا والمقرة في بدايات القرن التاسع الميلادي. ونشأت هذه العاصمة في القرن الخامس الميلادي على حسب نتائج الحفريات الأثرية التي كشفت عن تاريخ تشييد سور المدينة، واستمرت هذه المدينة كعاصمة لأهم الممالك السودانية العظيمة لمدة تزيد عن عشرة قرون، وذلك حتى القرن السادس عشر الميلادي.

هذا المزيج من الإنسان والأرض والتاريخ هي التي أنجبت لنا هذه النوبية العظيمة التي تمظهر فيها إرث ملكات دنقلا.

حتى تكتمل صورة المشهد الاجتماعي لأسرة سلاطين القدار التي تنتسب لها فاطمة عبدالرحيم، لا بأس من توضيح وإعادة بعض ما كتبناه. كانت السلطة عند العُهدة صالح ود عوض الذي عيّن لكل قرية، كان الشيخ محمد سلطان شيخ كنكلاب وجزيرة الرحمن، أما شيخ القدار فكان هو ساتي فضل. وتربطهم جميعاً علاقة نسب ومصاهرة.

انتقلت الشياخة بعد وفاة محمد إلى ابنه سلطان محمد سلطان، زوج فاطمة عبد الرحيم عثمان سلطان. توطّدت وتداخلت علاقة السلاطين بالقدار مع كل "خشم بيت" في القدار وكنكلاب والمقاودة.

تزوج سلطان محمد بشارة من آمنة عبدالله على "سوركتي"، وأنجب ابنيه محمد وعثمان.

تزوج سلطان محمد سلطان زوجته الأولى عائشة صالح محمد عبدالله باعتبارها بنت عمه صالح؛ لأن صالح أبوعائشة ومحمد أبو سلطان أولاد عمة وخال، وأنجب منها: محمد، بكري، درار، الصادق، سيف الدين، علي، زبيدة، حياة سلطان.

وبعد ذلك، تزوج من أرملة أخيه بكري، فاطمة عبد الرحيم عثمان سلطان، صاحبة سيرة هذا الكتاب، وأنجبت له: إحسان، سميرة، هاجر، ومحمد (ابنها الوحيد).

# الفصل الثاني

# النشّأة والسمّات العامة لشخصيّة الكنداكة

# الفصل الثاني

# النشّأة والسمّات العامة لشخصيّة الكنداكة

يربط علماء الاجتماع بين مكان النشأة والبيئة وتكوّن السّمات الأساسية للشخصية إلي جانب الوراثة وذلك في السني الأولى من حياة الإنسان مابين العامين ولستة أعوام، أما السمّات الأخري فهي مكّتسبة من خلال الإحتكاك والتجارب، لذا يتناول هذا الفصل البيئة التى نشاأة فيها فاطمة عبد الرحيم لرصد السمات العامة لشخصيتها. ولدت فاطمة عبد الرحيم عام 1940م، بجزيرة الرحمن التابعة لشياخة كنكلاب،(وثيقة رقم1).

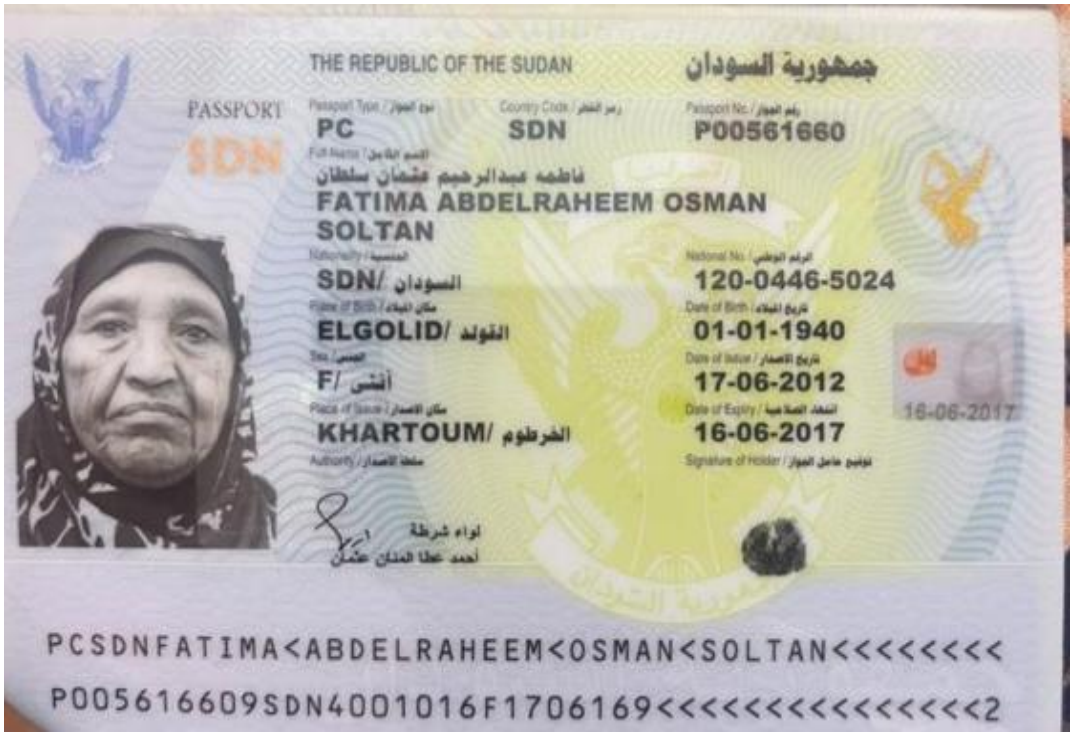


وثيقة رقم(1)، جواز سفر يحدد تاريخ ميلاد فاطمة عبد الرحيم

كانت جزيرة الرحمن هي صُرة المناطق الثلاثة القدار والمقاودة بالضفة الشرقية للنيل، ومنطقة كنكلاب بالضفة الغربية، وانتقل إليها بعض سكان هذه المناطق واستقروا بها والآخرون يذهبون إليها خماصاً ويغدون بطانا كل يوم، وذلك لخصوبة أراضيها البكرة، وليُسر الحياة بها، وكانت ضاجّة بالحياة والحيويّة، حتى نسب لأحد سكانها قوله: ( لو ترك لنا ربنا هذه الجزيرة بخيرها لا حوجة لنا بجنته في الآخرة)، أوردنا هذا القول بالرغم من علله العقدّية، للتدليل على كثرة الخيرات والنعم التى توفرت فيها الزرع والضرع،

تكوّنت هذه الجزيرة مثلها مثل الجزر المتحركة في المنطقة كلها في حوالي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، قبيل قيام الثورة المهدية في السودان، وامتدت من جزيرة سلنارتي بالقدار جنوباً ملتصقاً بها في مرحلة لاحقة، وشمالاً حتى جزيرة الألو بالمقاودة وتفصلهما جزيرة صغيرة تعرف بجزيرة محمد صديق، وهي حديثة النشّأة بالمقارنة بالجزيرتين. وتقول رواية عن عبدالرحيم بشاشة وصلته بالتواتر أن جده الكبير صالح بشاشة من مواليد عام 1940م بالتقريب، وكان من الذين سكنوا بكنكلاب رأي حركة طيور وبخسة- إناء من نبات القرع لحفظ السمن- تدور داخل النيل ولا تتحرك، فأمر شابين من المنطقة وهما: حسين جوي وسعد الله عبد السيد ليسطّلعوا الأمر، فسبّحا حتى وصلا البخسة ووجدا أن مياه النيل في هذا الموقع ضحلة، وحملا معهما البخسة وكان بداخلها سمناً، فتنبأ صالح بتكوّن جزيرة قريباً في هذه المنطقة، وسيكون بها رحمة، لذا اشتهرت بجزيرة الرحمن، وعرفت بإسن نارتي (جزيرة السمن)، ولكن اسمها في السجلات الحكومية هي جزيرة كنكلاب.

في هذه الجزيرة وفي ظل هذا الحراك الاقتصادي والاجتماعي، ولدت ونشأة الحاجة فاطمة عبد الرحيم، وتحكي يو ستنا سيد على: أنها بعد خمسة سنوات حبلت بإبنتها فاطمة ورأت حلماً قصته على الشيخ عبد الحليم حامد - حفيد إدريس ود الأورباب- فقال لها: سيأتى على يد هذا المولود خير كثير، فكان بعد ولادة فاطمة أن عم الخير الجزيرة وزاد إنتاج المحاصيل وكثرت وتوالدت الماشية؛ كانت فاطمة منذ صغرها متفردة في تصرفاتها، ومشاغبة، وكانت تحاكي الصبيان في ركوب الحمير، ورعاية البهائم، وفي السباحة في النيل، كانت والدتها تقوم بتمشيط شعرها ولكنها سرعان ما كان تفكه وتنكش شعرها عند السباحة، وكانت ماهرة في السباحة تبز أقرانها. وكانت بعض نساء المنطقة ماهرات جدا في السباحة لأن حياتهن وبيئتهن حتمّت عليهن تعلم السباحة لأنهم كانوا أهل جزر وكانوا يستخدمون المراكب في حياتهم اليومية وفي حالة تعذر التعدية لأي سبب كانو يسبحون للطرف الآخر لرعاية ماشيتهم او زراعتهم وغيرها.

كانت الطفلة فاطمة عبدالرحيم تتسم بالجرأة وروح التحدي، وكانت تضرب الأولاد، ومما يروى عنها في طفولتها أنها كانت تترصد يوم الجمعة للشيخ محمد ساتي فضل الله أحد أعيان البلد، وهو راكب دابته وذاهب للصلاة وتخلع جزمته بسرعة وتدفنه في الرمال،

ويروى عنها أيضاً، وشكّلت أولى إماراتها القيادية إهتمامها بشئون أسرتها، ومدافعتها عنهم، أنها كانت قريبة من مجلس للنسّوة مع أمها، يتحاكيّن، فسمعت أن بعض النساء يخططّن لإفشال زيجة خالتها لأحد المغتربين القادمين من مصر، فظلت ترّقب عن كثب تحركات العريس، وعندما دخل يوماً في بيت الأسرة التى تدبر لإفشال الزواج للسلام والتحية، رافقته وعلى عادة أهل المنطقة فإنهم يرحبون بالضيف ويقدمون له مشروب الآبرى ، فمنعته فاطمة. وواجهت النسوة قائلة لهم أنهن يضمّرن له شراً ليصرفنه عن الزواج من خالته، وأنهن وضعن فى المشروب حواطة( سحر) لهذا الغرض، وقد أدخل هذا الموقف الأسرتين في حرج كبير ولكنها لم تتوانى في سبيل الدفاع عما تراه حقاً لخالتها. وقد لخصت لنا بنت شقيقها شيبون طفولة فاطمة عبد الرحيم بلغة محلية بليغة:" كانت من صغرها هابشة ورجاليّة... وكانت سندنا وضرانا لحدي ما ماتت".

تزوجت فاطمة عبدالرحيم سنة 1954م، وهي مازالت صغيرة في الرابعة عشرة من عمرها من الشيخ بكري محمد سلطان، ولكن شاءت الأقدار أن يتوفى بعد فترة قصيرة من الزواج إثر سقوطه من حصانه أثناء مشاركته فى زفة السيرة. وفي فترة العدة تداخلت عند فاطمة عبد الرحيم ملامح شخصيتها من براءة الطفولة التى لم تتخطاها بعد لتصل مرحلة النضج والرشد وتحديها للموروثات المحلية الصارمة المستمدة من المعتقدات القديمة، والتي اختلطت مع ضوابط الشريعة الإسلامية لمظاهر وتقاليد عدة المتوفى والتى تعرف بالحضانة. ومن مايروى عنها أنها رفضت الإعتكاف في البيت أو الحبس، واشترطت عليهم يأتوا لها بكلبها الصغير (جرو) كان قد أخذه منها محي الدين العليقى أحد أقرانها في فترة الطفولة وذهب به إلى حوض بشرق النيل، فإضطر والده لتنفيذ شرطها لعلمه بأنها لن تتنازل عنه، وكان من ضمن عادات وتقاليد المعتدة أن تجلس لمدة طويلة عند فترتي طلوع الشمس وغروبها في حالة صمت مطبق وتحرسها كبيرات السن. رفضت فاطمة الإلتزام بهذه العادة وكانت تجمع كمية من الحجارة وترمي بها والدتها والنساء إذا طلبن منها الصمت.

بعد إنقضاء فترة العدة تقدم لها عدد من الخطاب ولكن تصدى لهم الشيخ سلطان محمد سلطان بقوله: (لن أسمح لأحد بالزواج من فاطمة حتى لا يدخل غريب أرض أخي)، وكانت

فاطمة ترث ربع أراضي زوجها الشيخ بكري محمد سلطان على قواعد المواريث في الشريعة الإسلامية. وتزوجها سلطان في حوالي عام1962م( صورة، رقم 8).

صورة رقم(8)، زوج الكنداكة الشيخ سلطان محمد سلطان

أنجبت فاطمة عبد الرحيم ابنتها البكر إحسان عام 1964م بجزيرة الرحمن، انتقلت بعدها لكنكلاب بغرب النيل وانجبت هناك ابنتها سميرة، ولكنها رفضت أن تستقر بكنكلاب لإنها صحراء كما قالت، ويبدو كانت لفاطمة رؤية مستقبلية آخرى وهي أن يكون لها منطقة الشرق بالقدار لتستقل بها حيث يستقر والديها، ولضرتها عائشة صالح الغرب بكنكلاب، رفض سلطان هذا المقترح، وحدث بينهما خلاف وتسبب في طلاقها، ولكن في النهاية استجاب سلطان لطلبها وانتقلوا إلي القدار مؤقتاً، ثم عادوا مرة أخرى لكنلاب لحين أن يشيّد لها سلطان بيتها التى استقرت بها وولدت فيه ابنها الوحيد محمد وبنتها هاجر، توفى سلطان عقب عودته من أداء فريضة الحج بعد عام ونيف من ولادة هاجر. ذهبت فاطمة لكنكلاب للبيت الكبير منزل ضرتها لأداء واجب العزاء وقضت هناك أسبوعاً ثم عادت لتقضي فترة العدة ببيتها، وكانت هذه الفترة كافية لتقرر فاطمة مصيرها، ومن الواضح أن حسمت أمرها بأن تتولى بنفسها شئونها وتشرف على الزراعة وتربية أولادها،

وعندما علم أخويها سلطان وعمر وكانا من كبار التجار اعترضا عليه بحجة أنها مازالت صغيرة ولايليق بها أن تعمل مع الرجال. ولكن متى كانت الكنداكة فاطمة عبد الرحيم تتنازل عن قرار اتخذته بعد دراسة، ولعلها فهمت أن أخويها ربما يضمران تزويجها، فكان ردها بأن خلعت ملابس النساء وقررت لبس العراقي والسروال زي المزارعين المعروف في المنطقة، دلالة على عدم رغبتها في الزواج وأنها سوف تتفرغ لتربية أولادها والإشراف على الأرض، وهو الزي الذي اشتهرت بلبسه فاطمة عبد الرحيم. وكان زيها مألوفاً لدى كل أهل المنطقة، وصدف أن جاء مدير جديد لمحلية دنقلا العجوز، وأثناء مروره في السوق، كانت فاطمة عبد الرحيم تجلس على كرسي أمام دكانها بلبسها المعهود، فخاطبها المدير قائلاً: (يا وليّة احتشمي)، فردت عليه فاطمة رداً مفحماً دون أن تغيّر جلستها أو تعره كبير اهتمام كبير بقولها: (في ذمتك لباسى ده مش أكبر من حق ابوك) حينها علم المدير أن تعجل في توبيخها، وأنها أمرأة مختلفة ليس من الحكمة مناقشتها بهذه الطريقة، فأنصرف دون أن يعقّب.

وتلخص لنا رقية محمد عبد الرحيم بنت أخيها، بلغة بسيطة وسلسة، جوانب متعددة ومتكاملة في وحدةٍ موضوعية تُجسِّد أبعاد شخصيتها، فتقول: ( كانت متعلّمة من غير قراية، قريبة من الناس، تعالج المريض، وتربّي اليتامى، وتبني البيوت، وتعرّس لل ما عرّس، وتسدّ حوجة المحتاج والغلبان .كانت بتحل المشاكل ونحنا بنقيف في ضِهرا، فالحة في الجودية، وكريمة، وتساوي الرجال .لقطت القروش وبنت المستشفى(الشفخانة) ،والبيوت وقت كانت رئيسة اتحاد المرأة).

تقدّم هذه الوقفات القصيرة إشاراتٍ تمهيدية للتعرّف إلى الملامح العامة لشخصية فاطمة التي تميّزت بالتحدّي والإصرار، وبحبّ الآخرين والسعي إلى حمايتهم. وفي هذا السياق نُورد الألقاب والصفات المتعدّدة التي أُطلقت عليها، وهي دلالة واضحة على قوّة شخصيتها وتفرّدها داخل المجتمع، إذ كان يُنظر إليها من زوايا متعدّدة. فقد اشتهرت بوصفها زعيمة، وكذلك السلطانة، وشُبّهت بنساء شهيرات في عالم السياسة آنذاك، مثل رئيسة وزراء بريطانيا مارغريت تاتشر أو المرأة الحديدية، ورئيسة وزراء الهند أنديرا غاندي.

غير أنّني في هذا الكتاب – كما أشرت في المقدّمة – اخترت لها لقب (كنداكة)، بوصفه امتداداً رمزياً لدور المرأة الريادي والمؤثّر في المجتمع النوبي بشمال السودان، وفي المجتمع السوداني عموماً.

وتستوقفني هنا مقولتها الشهيرة عند المساهمات المالية في المناسبات الاجتماعية، والتي تُعرف في المنطقة باسم الكسِيق، إذ كانت تقول: (ليهم عودي عود راجل). ومن المعلوم أن مساهمات النساء كانت عادةً أقلّ من مساهمات الرجال، غير أنّ الكنداكة فاطمة عبد الرحيم كانت تساوي الرجال في هذه المساهمات، بل وتتفوّق عليهم أحياناً.

وقد ربطتُ هذه المقولة بصفةٍ ارتبطت بالكنداكة أماني ريناس، إحدى أشهر كنداكات مروي، وهي صفة المرأة المسترّجلة. وهذه السمة التي تميّزت بها فاطمة عبد الرحيم ربّما فرضتها ضرورة اجتماعية أملّتها طبيعة المجتمع آنذاك، وذلك على الرغم من مسحة الجمال والأنوثة الواضحة التي اشتركت فيها الكنداكتان.

وفي محاولة من الدكتور الأمين يحيى (كمكمل) لتحليل جانب من الشخصية المركّبة لفاطمة عبد الرحيم، يقول:

من المواقف الاجتماعية التي تُبرز ملامح شخصيتها القوية بوضوح، أمرين الأول: لا تتراجع عن قرار اتخذته وكانت (كلمتها واحدة)، الثاني: حالةُ الولاء والانتماء العميق التي يكنّها لها كلٌّ من عمل معها؛ وهو ما يُعدّ دليلاً جليًا على مقدرتها الإدارية، وعلى ما كان يسود علاقتها بعمالها من حبٍّ وثقةٍ متبادلين. فقد بلغ من ثقتهم بها أن كانوا يستشيرونها في شؤون حياتهم كافة، حتى الخاصة منها، ولا يُقدِمون على أمرٍ دون الرجوع إليها، إدراكًا منهم لحكمتها، وإيمانًا بأنها صاحبة رأيٍ سديد، ولعلمهم كذلك بأنها لا تكتفي بإبداء الرأي، بل تتبنّى قضاياهم وتسعى لمعالجتها.

وكانت تناديهم بألقابٍ محبّبة إلى نفوسهم، من بينها لقب الدراويش، ويعني في فهمها (زول الله). ومن المواقف الطريفة التي تُجسّد ما سبق، أن أحد عمّالها تعرّض للدغ عقرب في إحدى مزارعها، وبدلًا من نقله إلى مقرّ المساعد الطبي القريب، جاؤوا به إلى منزل فاطمة لإبلاغها بالأمر. وحين طرقوا الباب واستقبلتهم بعبارتها الشهيرة: (إن شاء الله خير)،

وأخبروها بما حدث، قالت لهم: (طيب يا أولادي، مادام الزول ملدوغ والدكتور جنبكم، جايين هنا لشنو؟ ارجعوا ليه سريع).

ثم دخلت منزلها وهي تردّد مازحة: (يا حليل يا فاطمة، أعمل شنو مع الدراويش ديل).

ويضيف الدكتور الأمين يحيى ملاحظةً بالغة الدلالة، مفادها أن من أبرز ملامح شخصيتها اسمها ذاته؛ إذ لم يكن يُستعمل في المنطقة إلا للدلالة عليها وحدها، لا لمجرّد التعريف، حتى وإن تطابقت الأسماء، وكأنما صُكّ هذا الاسم لها دون سواها. فمجرد أن يُقال: فاطمة عبدالرحيم يكون المراد واضحًا، أمّا غيرها فيحتاج إلى مزيد تعريف.

من جانب آخر لا يمكن قراءة شخصية الكنداكة فاطمة عبد الرحيم، ولا فهم حضورها الاجتماعي والاقتصادي والإنساني، بمعزل عن بيئتها الأسرية التي شكلت أحد أهم روافد تكوينها المبكر. فقد نشأت في أسرة لعب أبناؤها، ولا سيما إخويها سلطان، وعمر عبد الرحيم، أدوارًا مؤثرة في محيطهم المحلي والوطني، وأسهموا في ربط الشمال بالجنوب اقتصاديًا واجتماعيًا، وامتد أثرهم إلى تخوم السياسة والعلاقات العامة.

وفي هذا السياق، يرى المهندس عبد الله بشارة أن الصورة الزاهية للزعيمة فاطمة عبد الرحيم لا تكتمل إلا بإبراز أدوار إخوانها، لما كان لهم من تأثير مباشر وغير مباشر في تشكيل وعيها، وصقل شخصيتها القيادية. فقد كان شقيقها المرحوم سلطان عبد الرحيم أحد أبرز رموز النشاط الاقتصادي المرتبط بجنوب السودان، واشتهر بمشاريعه الزراعية الكبرى في منطقة الرنك، حيث تخصصت مزارعه في إنتاج الذرة، وأصبح موردًا رئيسيًا للغذاء في الجنوب. كما ظل، حتى وفاته، يمد منظمة الأغذية العالمية بنحو ستين ألف طن من الذرة سنويًا، في إسهام نوعي عزز الأمن الغذائي في الإقليم.

وتبرز دلالة الدور الإنساني للمرحوم سلطان عبد الرحيم في رواية متداولة خلال مفاوضات السلام بنيفاشا عام 2004، حين التقى بعض رجال الأعمال الشماليين بالدكتور جون قرنق قائد الحركة الشعبية لتحرير السودان المتمردة، وتحدثوا معه عن تعويض المتضررين من الحرب في الجنوب. فجاء رد قرنق معبرًا عن ذاكرة الوفاء، إذ قال إنه إن فكّر في تعويض رجال الأعمال الشماليين الذين عملوا في الجنوب، فلن يعوّض سوى سلطان عبد الرحيم. وقد عُرف لاحقًا أن هذا الموقف يعود إلى علاقة قديمة، إذ كان جون قرنق، في صباه،

يعمل في دكان سلطان عبد الرحيم بمدينة بور، حيث لقي معاملة خاصة ظلت حاضرة في وجدانه حتى بعد أن صار قائدًا سياسيًا بارزًا.

أما المرحوم عمر عبد الرحيم سلطان، فقد تميز بحضور اجتماعي قوي، ولباقة في الحديث، وقدرة على بناء العلاقات، وكان له ارتباط وثيق بالسيد أبيل ألير، النائب الأول للرئيس جعفر نميري، حيث جمعتهما صداقة متينة وجيرة سكن بحي أركويت. وقد انعكس هذا المناخ الاجتماعي الواسع على الأسرة، وأسهم في تشكيل حس التواصل والانفتاح لدى فاطمة عبد الرحيم، ويُرجَّح أن تأثرها بأسلوب عمر في الخطاب والإقناع كان واضحًا في طريقة حديثها وتعاملها مع الناس، (صورة رقم 9).

كما لا يمكن إغفال أثر المرحوم محمد عبد الرحيم سلطان، الذي ظل قريبًا من شقيقته في محيطها المحلي، وكان حضوره الإنساني والثقافي مؤثرًا، بما حباه الله من بسطة في القول، ولسان نوبي مبين، وعربية بسيطة وعميقة المعنى، الأمر الذي ترك بصمته على شخصية فاطمة عبد الرحيم، وساهم في تشكيل خطابها المتوازن بين الأصالة والبساطة والوضوح.

ومن خلال هذه الجذور الأسرية المتشابكة، تشكلت ملامح شخصية الحاجة فاطمة عبد الرحيم؛ شخصية استمدت قوتها من بيئة عرفت العمل، والوفاء، وبناء الجسور بين الناس، فانعكس ذلك في مسيرتها الاجتماعية والاقتصادية، وفي دورها الريادي الذي جعلها واحدة من أبرز الكنداكات السودانيات في العصر الحديث.

صورة رقم(9)، صورة غلاف كتاب يتناول تجربة عمر عبد الرحيم التجارية

# الفصل الثالث

# البدايات ومواجهة التحدّيات

# الفصل الرابع

# البدايات ومواجهة التحدّيات

يعتبر هذا الفصل امتداد للفصل السابق لأنه يتناول قدرة الكنداكة فاطمة عبد الرحيم على التعامل مع الحياة وتحدياتها، بعد وفاة زوجها الأول في أربعين العرس – إذ كانت العادة آنذاك أن يُسَيِّر الخدمُ الموكب لأنه كان ابن شيخ – سقط عن حصانه وتوفّي. فتزوّجها من بعده أخوه الشيخ سلطان – كما أشرنا سابقًا – واستقرّا في جزيرة الرحمن، حيث أنجبت ابنتها الأولى إحسان عام 1963م. ثم انتقلت إلى كنكلاب، فأنجبت ابنتها الثانية سميرة عام 1966م، ثم ابنها الوحيد محمد عام 1969م. أما آخر أبنائها فكانت هاجر، التي وُلدت عام 1974م، وقد سُمّيت بهذا الاسم لأن والدها سلطان كان قد عاد من الحج أيام ولادتها، فاختار لها اسم هاجر تيمنًا بهاجر أمّ إسماعيل عليه السلام. غير أنّ الشيخ سلطان، عند عودته من الحج، كان مريضًا، ولم يلبث أن توفّي في العام نفسه. وقد زارته فاطمة في مقر إقامته عند زوجته الثانية في كنكلاب، ولما علمت أنه يحتضر، سألته عن أملاكه وأمواله. فاستنكرت ابنة ضرتها زبيدة هذا السؤال في مثل ذلك الموقف، قائلة باعتراض:

(هسّي ده وقت السؤال عن موضوع زي ده)، لكن سلطان، بفراسة الشيوخ وحكمة الإداريين، أدرك ما قد تؤول إليه الأمور، ورأى أن لفاطمة دورًا في حفظ أملاكه من بعده، فقال مطمئنًا:

(خليها تسأل... بتنفعكم)، ثم أجابها بوضوح عمّا أرادت معرفته، فعلمت حينها أن ثقافة التوريث تخضع لمعايير خاصة، لعلّها تقوم على استمرارية السلطة في البيت الكبير.

بعد وفاة الشيخ سلطان وانقضاء فترة العِدّة، انتقلت فاطمة عبد الرحيم إلى بيت والديها، تفكر في كيفية مواجهة الحياة وحدها، وتربية أبنائها وتعليمهم. بدا أنها عقدت العزم على ذلك متوكلة على الله. لكنها، وهي ما تزال في منتصف الثلاثينات من عمرها، جميلة، حسنة السيرة، ماهرة التدبير، كانت محطّ أنظار كبار القوم. فتقدّم لخطبتها عدد من شيوخ المنطقة، وتزوّجها بالفعل اثنان منهم في فترات لاحقة. كما طلب ودّها شيخ القدار محمد ساتي، وقد قَبِل والدها عبد الرحيم عرضه ووافق على الزواج، كما تشير بعض المرويات العائلية. وعندما عاد والدها في المساء، نقل إليها الخبر متهلّلًا بما ظنّه بشارة خير، غير أن

لفاطمة رأيًا آخر؛ إذ كان الزواج يتعارض مع ما عقدت العزم عليه من حياة كفاحٍ وتفرّغ لتربية أبنائها. فجاء ردّها صادمًا وغير متوقّع: (إنت ما دايرني أقعد معاك في بيتك؟ والله أنا وشفّعي مانبيت في بيتك ده)؛ ثم حملت ابنتها الرضيعة، وجمعت حاجياتها على عجل، وأمرت أبناءها بمغادرة بيت جدّهم في جنح الليل. كان الظلام دامسًا، لكنهم مضوا يحملون فانوسًا يبدّد عتمة الطريق حتى وصلوا إلى بيتهم المتواضع، ليبدأ بذلك فصل جديد من حياة فاطمة عبدالرحيم، وهي رحلة رحلة كفاحٍ ومثابرةٍ ونجاحٍ بلا عائل.

كان شقيقها محمد قد تزوّج مبكرًا وهي لا تزال طفلة، بينما انشغل أخواها سلطان وعمر بالتجارة بين مدينتي كوستي وجوبا، وصارا من كبار التجار وكانا يعينان الأسرة بكل مايلزم. فاضطلعت هي بعبء رعاية والديها بعد أن انتقلا للعيش معها. كانت تبرّهما برًّا خالصًا، تجهّز لهما الملابس النظيفة المبخّرة يوميًا، وتغسلهما وتطيّبهما وتؤانسهما صباحًا وعند عودتها من العمل. وقد ساعدتها ابنتها سميرة في هذه المهمة حتى إنها تأخّرت عامًا كاملًا عن دراستها لتتفرّغ لرعاية جدّيها.

عند وفاة والدها عبد الرحيم عام 1986م، ذبحت الكنداكة فاطمة عجلًا في الفراش (مكان العزاء). وكانت العادة أن تستمر مراسم العزاء ثلاثة أيام، يُقدَّم خلالها طعام من البلح مع الكسرة يُعرف بـالكَرارة (بضم الكاف). وأصبح ذبح العجل عادة متّبعة إلى يومنا هذا عند أهل القدار.

وتروي ابنتها سميرة: (عندما علمت والدتي أن أجل جدّتي ستنّا قد دنا، كانت ثابتة الجَنان، وأرسلتني إلى أهل جدّتي وخالي ليحضروا فورًا. استغربتُ تصرّفها، وعندما عدت ولم يحضروا معي، تركتني عند جدّتي وذهبت بنفسها لتأتي بهم، وحين عادت أسلمت جدّتي روحها لبارئه).

كان والدا فاطمة يملكان قطعة أرض زراعية متواضعة وبعض الأبقار وزريبة بهائم، آلت إليها بعد وفاتهما، إلى جانب ما ورثته من زوجيها. وقد تولّت الحاجة فاطمة إدارة هذه الممتلكات بنفسها، فكانت ترعى الأرض والماشية وتتعهدها بنفسها لتعول الأسرة. كما كانت وكيلةً لأراضي بشارة الجد ومرغني العمدة وغيرهما، ونجحت في شراء أراضٍ زراعية جديدة من أرباح الأبقار والعجول ومنتجاتها، خاصة السمن. ساعدتها والدتها في أعمال الزراعة قبل وفاتها، وكانت فاطمة تستفيد من حراثة الأرض بثيرانها. ويقول فتحي أبو

رأي – أحد من كانت توكله برعاية الثيران – عنها: (كانت مرة مبروكة، برضى والديها، وباب جنتها فاتح. وقت دايرة تشتري حاجة، غالية ولا رخيصة، ما بتتردد). ولما سُئل كيف استطاعت الحاجة فاطمة عبدالرحيم أن تطوّر رأس مالها في فترة وجيزة بشراء التراكتور وملحقاته وزراعة النخيل، أجاب بمثلٍ دارج: (لمال يا فَقا يا تَقا)، أي أن للمال بابين: الفقا (الرحم، أي تربية الماشية وتكاثرها) والتقا (مكان جمع المحصول)، وهما المجالان اللذان برعت فيهما فاطمة عبد الرحيم، فأسست عليهما عملها المالي وطوّرته، وتمكنت من خلالهما من تربية أبنائها وتعليمهم جميعًا حتى زواجهم، (صورة رقم 10).

صورة رقم(10)، نظرة تأملية للكنداكة

وهكذا، شكّلت هذه المرحلة من حياتها ملامح الكنداكة فاطمة عبد الرحيم كأمٍّ، وكعاملةٍ مثابرةٍ، وكامرأةٍ واجهت الحياة بشجاعةٍ وإيمانٍ وعزمٍ، لتصنع من التحديات بداياتٍ جديدةً ونجاحاتٍ ممتدة. كما أوضحنا وذكر ابنها محمد، فقد سعت فاطمة عبد الرحيم إلى توسيع أراضيها الزراعية، إذ إن امتلاك الأرض لا يقتصر على أهميته الاقتصادية فحسب، بل يحمل قيمة اجتماعية أيضاً، لما يتيحه من الإشراف والإدارة على مساحات زراعية تخص عدداً كبيراً من الملاك، وفق ما يُعرف بنظام التودان. وهو نظام يقوم على تقسيم ريع المحصول بين المشرف، الذي يتولى الصرف على الزراعة حتى الحصاد، ويحصل على ثلاثة أرباع العائد، وبين المزارع الذي ينال الربع، وذلك بعد إخراج السدس من جملة المحصول لصالح مالك الأرض.

وقد قامت فاطمة بشراء عدد من الأراضي الزراعية، من بينها ساقية العمدة ميرغني محمد علي، وهو عمدة المنطقة والمقيم في قرية أمنتجو. وجاء ذلك على خلفية محاولة بعض أعيان القرية ـــ بطلب من العمدة ـــ سحب الإشراف على أرضه من فاطمة ومنحها لهم، فكان رد العمدة حاسماً حين قال:

"أنا بشيل فاطمة من الواطة في حالة واحدة، وهي بيع الواطة ذاتها". وعندما بلغ فاطمة خبر هذه المكايدة، اتصلت بابنها محمد وأخبرته بما حدث. فسارع بالتواصل مع وكيل العمدة معبّراً عن رغبته في شراء الساقية. ولم تمضِ فترة طويلة حتى حضر إلى القرية، وأكمل إجراءات الشراء، ثم سلّم وثيقة الملكية لوالدته فاطمة عبد الرحيم؛ وكأن اتصالها به كان دافعاً ليقوم بهذه الخطوة، وليرسل رسالة واضحة لأولئك الذين يكيدون لها بأن وراءها ابناً يسندها.

تطور الوعي الاقتصادي للكنداكة، وكان مشروع امتلاكها لطاحونة فكرةً اقتصادية رائدة، كما أشار إلى ذلك الأستاذ محمد خالد أثناء توليه إدارة مدرسة القدار الثانوية العامة للبنات (1979–1982م)، إذ كانت أول امرأة في المنطقة تمتلك طاحونة، واشتهرت باسم (طاحونة فاطمة عبدالرحيم). وقد جاء ذلك في زمنٍ كان امتلاك الطواحين والآليات حكرًا على أعيان البلد من الرجال والبيوتات التجارية الكبيرة، فدخلت الحاجة فاطمة هذا المجال بقوة واقتدار.

ولم تكن طاحونتها في القدار مجرد مشروعٍ اقتصادي، بل تحولت إلى ملتقى اجتماعي يشبه النادي، يتبادل فيه الناس الأخبار والتحايا، حتى ارتبط اسمها بالمكان ارتباطًا وثيقًا، وظل متداولًا حتى بعد توقف الطاحونة بسنوات طويلة. إذ كان امتلاك "المكنة والطاحونة" آنذاك قمة الوجاهة الاجتماعية والاقتصادية، وهي المكانة التي خلدتها الأغاني التراثية مثل: (سيد المكنة والطاحونة).

ولم يتوقف طموحها عند الطاحونة، بل امتد ليشمل امتلاك العربات، والتراكتورات، والمشاريع الزراعية، والثروة الحيوانية، مما جعلها إحدى ركائز الاقتصاد المحلي في منطقتها. كما اتسمت ببعد النظر وسعة الأفق؛ فعند تخطيط المساكن حول محلية دنقلا العجوز وتوزيعها على الأهالي، عزف كثيرون عنها، فقامت بشراء عدد كبير منها بأسعار زهيدة، لتتحول لاحقًا إلى مساكن وجنائن لبناتها وأسرتها الممتدة. وبذلك استحقت أن تُوصَف بأنها شخصية فذة، يندر وجودها بين النساء.

وندلل هنا إلى المكانة الاجتماعية التى يتبوأها من يمتلك بساتين وطاحونة بأغنيةٍ كانت شائعة في تلك الفترة، تمجّد العريس وتبرز عزّ ومكانة أهله:

سيد المنقة والليمونة

سيد المكنة والطاحونة

يا سيد السبيقة اللينة

يا سيد الجنينة البينة

سيد الحلقة في العالي

سيد الملكو طوالى

وترى الدكتورة منيرة ساتي أن من أهم عوامل نجاح الكنداكة فاطمة عبد الرحيم في مواجهة تحديات الحياة تكمن في قدرتها على حسم الأمور بسرعة واتخاذ القرارات بحكمة، بأقل التكاليف وأعلى جودة، فهي لا تؤجل الأمور إلى الغد، وتشير إلى أن بداياتها التجارية كانت منذ وقت مبكر، حين عملت مع شقيقها سلطان في كوستي، حيث كانت تشتري محصول البامية الطازجة (الويكة) من مزارع المنطقة، ثم تقوم بتجفيفه بعناية قبل إرساله إلى

كوستي عبر الشاحنات المعروفة باسم اللوري، وتستعيد منيرة قصة طريفة تتذكرها منذ الصغر، لكونها صديقة إحسان، ابنة فاطمة الكبرى، ورفيقتها في المدرسة، إضافة إلى صلة القرابة. تقول: أوصت فاطمة ابنتها إحسان بأن تنتبه لشحنة الويكة عند قدوم اللوري، بينما ذهبت هي إلى الجزيرة لمتابعة الزراعة. وذات يوم، وبينما كانت إحسان في حصة اللغة العربية للصف الأول، أطلق اللوري بوقه المميّز، فصرخت إحسان دون وعي: اللوري!، وخرجت من الحصة على الفور، وتبعتها دون تردد، وسط ضحكات الأطفال ودهشة المعلم.

من جانب آخر اهتمّت الكنداكة فاطمة عبد الرحيم بتربية وتعليم بناتها وابنها، وجعلت التعليم في مقدمة أولوياتها. درست ابنتها الكبرى إحسان بمدرسة الغابة الثانوية للبنات، وكانت والدتها تحرص على زيارتها بين الحين والآخر. وفي إحدى المرات حاولت إحسان مرافقة والدتها إلى خارج المدرسة، فتصدّى لها العم سليمان، خفير المدرسة، ومنعها من الخروج. حاولت إحسان أن تشرح له الموقف قائلة: (دي أمي يا عم سليمان)، فردّ عليها بحزم: (عارف، لكن ممنوع).

أعجب هذا الموقف الحازم الكنداكة فاطمة عبد الرحيم، فشكرته وقالت: (كده أنا اطمنّيت على البنات، وعهد عليّ أقرّي بناتي التلاتة في المدرسة دي).

لم تكن تلك كلمات مجاملة عابرة تُقال وتُنسى، بل كان قرارًا ملزمًا عندها، وحرصت على تنفيذه. وبالفعل درست ابنتها سميرة في المدرسة نفسها، وعندما قُبلت ابنتها الصغرى هاجر بمدرسة أمنتجو الثانوية، قامت بتحويلها إلى مدرسة الغابة الثانوية للبنات، ومنها تخرجت لاحقًا في كلية القانون بجامعة النيلين. وظلّ اهتمامها بتعليم بناتها مستمرًا حتى تزوّجن، دون أن تجعل المقدرة المالية معيارًا عند اختيار أزواجهن.

أما ابنها محمد، فقد كانت تدلله كثيرًا، ولم يُكمل تعليمه، إذ مال بطبعه إلى خوض غمار الحياة العامة والعمل في التجارة. ولم يقتصر اهتمامها بالتعليم على أبنائها فحسب، بل امتدّ ليشمل أحفادها، فتولّت تكاليف دراستهم حتى تخرجوا من الجامعات. وتحكي ابنتها سميرة قائلة إن والدتها، عندما تدخل عليها وترى أبناءها الثلاثة في الجامعة، تقول: (سميرة دي مالها وشّها كعب)، ثم تسارع بتيسير كل العقبات من أجل تعليمهم وتعليم غيرهم من الأبناء والبنات أفضل تعليم، حتى تخرجوا بتفوق في مختلف التخصصات، كأطباء ومهندسين وقانونيين.

**فاطمة عبد الرحيم**

وكانت تعدّ حفيدتها الكبرى أليزا عثمان السني، ابنة إحسان، بمثابة ابنتها الرابعة، تساويها في العطاء والرعاية مع بناتها، وتكفّلت بكامل مصاريف تعليمها حتى تزوّجت. وتقول إحسان عن زواج ابنتها ليزا: (أمي قامت بكل تكاليف العرس، أنا وأبوها جينا ضيوف شرف بس).

وعندما أراد ابنها محمد الزواج من آمنة، حفيدة أختها بتول، وأخبر الكنداكة برغبته عدة مرات، لم تُجبه رغم موافقة الأمر لهواها. وفي النهاية طلبت منه أن يكرر رغبته أمام أخواته حتى تتأكد من جديته. وحينئذٍ تغيّرت لهجتها وقالت: (لو دايرين آمونة، هي بتي، أنا تاني صاحبة شورى).

تمت كل مراسم الزواج في بيتها، حيث أدّت دور أم الزوجة، وظلّت تدافع عنها وتساندها حتى وفاتها. والقصص في علاقة الكنداكة بأسرتها كثيرة، اكتُفي هنا بالإشارات السابقة، (صورة رقم11).

صورة رقم(11)، حفيد الكنداكة الطبيب أحمد صلاح (أحد ثمار غرسها)

قدّمت الكنداكة فاطمة عبد الرحيم صورةً مشرفةً ونموذجًا فريدًا للمرأة السودانية المجاهدة التي لم تكسرها الظروف، بل صنعت من التحديات نجاحاتٍ ملموسة. فقد بدأت

حياتها بمواجهة الصعاب، وتزوّجت في سنّ الرابعة عشرة، وتحملت مسؤولياتٍ جسامًا وهي لا تزال في مقتبل العمر.

فقدت زوجها الأول وهي صغيرة، وواجهت الترمل مبكرًا، ثم فقدت زوجها الثاني أيضًا، فصبرت وجلدت، وواصلت مسيرتها بعزيمةٍ نادرة، متحمّلة عبء تربية أبنائها وحمل "الحِمل الثقيل" وحدها. فاعتنت بتربية المواشي والأبقار، لتدرّ عليها دخلًا وفيرًا من ألبانها واستخلاص السمن منها، بمساعدة والدتها، كما استفادت من عائد حراثة الأراضي باستخدام أبقارها، إلى جانب توسعها في الزراعة والبستنة، (صورة رقم12).

صورة رقم(12)، حصاد البلح من جنينة الكنداكة

أولت الكنداكة فاطمة عبد الرحيم إلي جانب إدارة مشروعاتها الإقتصادية علاقاتها الأسرية في إطار أسرتها الصعيرة والكبيرة عناية خاصة واهتماماً كبيراً وشكلت جانباً مهماً من جوانب نجاحها، فقد كانت تشاركهم أفراحهم وأتراحهم وكل كبيرة وصغيرة، لذا كانت محل تقدير واحترام من الجميع، (صور رقم 13- 14- 15).

**فاطمة عبد الرحيم**

**سيرة كنداكة نوبية معاصرة 62 |**

(صور رقم 13- 14- 15)، جانب من مشاركة الكنداكة أسرتها في المناسبات الاجتماعية

# الفصل الرابع

# ملامح من حياتها ودورها الاجتماعي والاقتصادي

# الفصل الرابع

# ملامح من حياتها ودورها الاجتماعي والاقتصادي

تُعدّ سيرة الكنداكة فاطمة عبد الرحيم زاخرة بالعطاء، غنية بالأعمال والخدمات التي تتحدث عنها أكثر مما تفعل الكلمات. ويحاول هذا الفصل أن يرسم صورةً أولية، أشبه بفسيفساء، لامرأة عظيمة، من خلال إبراز ملامح من حياتها ودورها الاجتماعي والاقتصادي، وعلاقاتها الإنسانية التي امتدت لتشمل الفقراء والمساكين، كما شملت الأعيان ووجهاء المجتمع، وإكرام الضيوف، وذلك اعتمادًا على شهاداتٍ نابعة من معايشةٍ مباشرة، وروايات متطابقة من أهلها ومعاصريها. وهي شهادات ترصد جانبًا من سيرة امرأة استثنائية، جمعت بين حسن التدبير الاقتصادي، والريادة الزراعية، والنجدة الاجتماعية، والعمل الخيري الصامت.

يقول محمد علي مختار: تعود معرفتي بالمرحومة الحاجة فاطمة عبد الرحيم إلى عام 1987م، وإن كانت سمعتها وسيرتها متداولة قبل ذلك بسنوات طويلة. ففي ستينيات القرن الماضي وبدايات السبعينيات كنا طلاب مدارس، وبحكم حداثة السن لم نكن نحيط بكثير مما يجري حولنا. وقد انقطعتُ عن الدراسة من الصف الثالث الأوسط، وسافرتُ إلى جنوب السودان في أوائل السبعينيات، ثم عدتُ إلى الخرطوم عام 1976م، وعملتُ سائقًا في المواصلات العامة، قبل أن أعود للاستقرار النهائي بالبلد عام 1987م. حينها كانت الحاجة فاطمة معروفةً على نطاق واسع بأنها امرأة مجتهدة، وصاحبة مشروع زراعي في الجزيرة، في زمنٍ هجر فيه كثير من الناس الزراعة واستقروا في الشرق، ومن بينهم أهلنا. ومع ذلك ظل بعض المزارعين يدخلون الجزيرة صباحًا ويعودون مساءً إلى القدار وجقوب وكنكلاب. وكانت فاطمة عبد الرحيم من القلة التي واصلت الزراعة والإشراف المباشر عليها. في تلك الفترة كانت الحاجة فاطمة في عمرٍ يراوح بين الأربعين والخمسين عامًا، تتمتع بحيويةٍ ونشاطٍ لافتين. فقد كانت تشرف بنفسها على المزارعين منذ بداية الموسم وحتى سداد «البوغة»، وتتكفل بكافة التجهيزات: من شراء التقاوي، ودفع أجرة المحاريث، وأجور العمال، وسائر المصروفات، والمميز في نهجها أنها كانت تتعمد إشراك المزارعين الأشد فقرًا وعوزًا، ممن لا يملكون ثمن التقاوي ولا أجرة الحراثة ولا أجور عمال اليومية، رغم وجود

مزارعين مقتدرين. وكانت تتكفل بالدفع عنهم كاملةً، إيمانًا منها برسالة التكافل قبل الربح.

ويضيف يوسف علي صالح: إن السلطانة فاطمة عبد الرحيم شخصية استثنائية، امتلكت أفكارًا متقدمة، وتطلعات واسعة، ووثبات كبيرة في مجالات العمل والإنتاج. وقد وهبها الله عقلية استثمارية نادرة، وقدرات غير عادية في النواحي الزراعية، جعلتها سابقة لعصرها في المبادرة والتخطيط والتنفيذ، وتُعدّ السلطانة فاطمة عبد الرحيم أول من أدخل الأعمدة الكهربائية في مشروع الري الدائم والحفير، حيث امتد خط الكهرباء بطول ثمانية أعمدة من حِلّة حسن علي حتى الحفير. وبذلك أصبح الموتور يضخ مياه النيل إلى الحيّضان، في خطوة رائدة أدركت من خلالها القيمة الحقيقية للكهرباء في الزراعة والإنتاج، وقبل ذلك، كانت قد بادرت باستخدام مصادر الطاقة في جزيرة الرحمن، وكذلك في سواقي القدار، وهو ما يعكس وعيها المبكر بأهمية الطاقة في تطوير الزراعة وتحسين سبل المعيشة، (صورة رقم16).

صورة رقم(16)، خط أعمدة الكهرباء

على الصعيد الاجتماعي والأسري، كانت يدها ممدودة بالعون لكل الأهل والعاملين معها، وعُرفت بحبها لعمل الخير في صمت، دون منٍّ أو طلب شهرة، وكان عطاؤها خالصًا لوجه الله، ويروي يوسف علي صالح تجربة شخصية معها، إذ قصدها طالبًا المساعدة لبناء حمّام في مسجد غلام الله ابن عايد. فاستقبلته بترحاب، وقالت بصوتها الجهوري المميز:(تفضل يا ود عمي)، وحين شرح لها الأمر، قالت على الفور:«اعتبر الموضوع مقضي».وفي صباح اليوم التالي، حضر مهندس البناء إلى منزله قائلاً: (الحاجة قالت لي أمشي لود عمي يوسف صالح... البقول ليك اعملو ليهم). وبالفعل تم بناء الحمّام، وإنشاء السبتانك، وبئر السايفون، وهكذا كانت السلطانة فاطمة؛ إذا قالت فعلت.

كانت للكنداكة فاطمة عبد الرحيم أعمال خيرية وخدمات جليلة قدّمتها للعديد من الشخصيات والمؤسسات الحكومية؛ ذكرت الأستاذة أمينة محمد عبد الرحيم: ومن بين تلك الأعمال أنه عند تأسيسنا لمدرسة القدار المتوسطة للبنات قالت لي: (صهريج الموية علي، هسع محمد ولدي يرسلو ليكم). وظلّت تتابع الأمر باهتمام بالغ، وتسأل باستمرار: (رسلوا الصهريج ولا لسه؟). وفي اليوم الذي وصل فيه الصهريج، كان أثر الفرحة واضحًا على ملامحها؛ ارتسمت على وجهها سعادة صادقة، وشعرت براحة عميقة تسكن داخلها.

وكانت تبادر كثيرًا بمثل هذه الأعمال دون انتظار شكر أو إشادة. ومثالًا على ذلك، يحدّثنا دكتور الأمين يحي أنه عند تشييد مسجد بالقرب من منزلها، فوجئوا بوجود صهريج مياه في موقع البناء، ولما سألوا عنه قيل لهم: (الحاجة فاطمة عبد الرحيم هي التي أحضرته) ولم نعلّق على الأمر، إذ لم يكن ذلك مستغربًا عليها، فقد كانت المبادرة بالعطاء سمة أصيلة في حياتها، (صورة رقم 17).

صورة رقم(17)، صهريج (خزان ماء) مدرسة القدار المتوسطة بنات

ويقول النصري محجوب، أحد الشهود: (إذا أردنا الحديث عن فاطمة عبد الرحيم، فإن ذلك يتطلب كتابًا كاملًا. وباختصار شديد، كنتُ المسؤول عن توصيل الكهرباء في القدار عام 2008م. وكان بعض الأهالي يروّن الأمر مستحيلًا وتضييعًا للمال. وعندما علمت بذلك، نادتني وقالت: النصري، عهد الله بيني وبينك تحفظ السر. ثم قالت بكل ثقة: أي زول عاكس في الدفع، تعال لي، لكن دون علم الشخص المعني).

وبالفعل، قامت بالدفع وتسهيل أمور عدد من الناس، حتى تم توصيل الكهرباء إلى جميع أنحاء القدار، وكررت ذات النهج في مشروع الجاز.

تحدثنا ابنة أخيها الأستاذة أمينة محمد عبد الرحيم: إن حياة فاطمة عبد الرحيم عثمان سلطان سِفرٌ ضخم من العطاء لا تسعه بطون الكتب. فلم تكن مجرد امرأة عادية، بل كانت مؤسسة اجتماعية واقتصادية تمشي على قدمين، كانت تشرف على مشاريعها الزراعية

بنفسها، الممتدة شرقًا وغربًا، لا تكل ولا تمل. ولم يقتصر دورها على إدارة ممتلكاتها، بل كانت الوصية والأمينة على مزارع ونخيل إخوتها (عمر، وسلطان، وزينب)، تشرف على الغرس والحصاد بكل تفانٍ. وفي موسم حصاد البلح، كان "عنقريبها" في الساقية يتوسط النخيل، تدير العمل وتكرم العاملين، فكان بيتها يعج بالناس والخيرات، (صورة رقم 18).

صورة رقم(18)، الكنداكة فاطمة وسط زرعها

وتواصل: اشتهرت فاطمة عبد الرحيم بكونها رائدة الفزع في المنطقة. فعند حلول موسم حصاد الذرة (المريق)، تبدأ هي بالمبادرة؛ تجهز الذبائح، وتجوب الجزيرة طولًا وعرضًا تستنهض الهمم وتدعو الشباب، وفي يوم الفزع المشهود، تتحول مزرعتها إلى خلية نحل، حيث يتوافد الناس من كل فج عميق، حتى كبار السن والأطفال يشاركون في سقاية العاملين وتجهيز المكان. وعلى وقع الجلالات والمدائح النبوية التي تشعل الحماس، يُنجز العمل في ساعات، ويُختتم اليوم بوليمة غداء فاخرة تجمع القلوب قبل الأجساد.كانت

الحاجة فاطمة قبلة المحتاجين وملاذ من ضاقت به السبل، وتميز عطاؤها بعدة سمات، منها:

الجود الخفي: إذ كانت تدس النقود في جيوب المحتاجين بعزة نفس، وتوزع "أكياس الخير" من محصولها دون إعلان.

إغاثة الملهوف: لم تكتفِ بحصاد أرضها، بل كانت تتفقد مزارع جيرانها المعسرين، فتتكفل بتكاليف حصادهم وتحشد الناس لمساعدتهم.

الإصلاح الاجتماعي: كانت صاحبة رأي ومشورة، ومموِّلًا رئيسيًا لمناسبات القرية من زواج وختان وعقيقة.

قوة الشخصية وصلة الأرحام

عُرفت الحاجة فاطمة بوقارها وهيبتها، فتحت بيتها لتربية أبناء وبنات إخوتها، وكانت واسعة العلاقات، موصولة الأرحام، لا يغيب عنها واجب، ولا يتأخر عنها محتاج؛ إن حياة الحاجة فاطمة عبد الرحيم تجسيد حيّ لمفهوم البركة في الأرض؛ رحلت وبقيت سيرتها خضراء كخضرة مزارعها، وتلاحق ذكراها العطرة دعوات الناس الصادقة:(يخضر الله ذراعها).

كانت الحاجة فاطمة تتعامل مع الفقراء تعاملًا خاصًا، وتعطف عليهم دون أن يشعروا بذلك، وكأنما فُطرت على هذا الخُلق. ويروي ابنها محمد قائلًا: كنت أملك مزرعة في الخرطوم بحري، ولأن والدتي كانت تحب الزراعة، فقد اعتادت أن ترافقني كل يوم عند العصر إلى المزرعة .كنت أزرع البرسيم ـــ وهو نوع من العلف للحيوانات يُقطف دوريًا كل شهر ـــ وقد تعاقدت مع صاحب كارو لشرائه بانتظام،

لاحظت أن والدتي تنادي صاحب الكارو كلما جاء، فتسلم عليه وتجلس تأنس إليه بعض الوقت، وكان الرجل عندما يفرغ من قطع البرسيم، يدفع الثمن يوميًا عند مغادرته. وفي أحد الأيام أومأت لي والدتي بأنها استلمت ثمن البرسيم، وتكرر الأمر بعد ذلك، فلم أشأ أن أسألها، وتركته كأنه جزء من برنامجها اليومي، خاصة أنها كانت تحب أن تشعر بأنها تدير المزرعة كما اعتادت في قريتنا التي نسميها "البلد".

وبعد فترة سافرت والدتي، وجاء صاحب الكارو كعادته. وعند مغادرته بدأ يتلفت ويسأل عنها بإلحاح: (إن شاء الله الحاجة ما حصل ليها عوجة؟)، فاستغربت سؤاله المتكرر، فسألته: (في شنو؟). فقال: (والله يا ولدي، طيلة الفترة الماضية ما كنت بدفع قروش البرسيم، والحاجة كانت تقول لي: قول لولدي إنك اديتني القروش، وتاني ما بيسألك)."

من الطرائف التي تُروى – كما يحكي ابنها – أن الحاجة فاطمة كانت في زيارة إلى الخرطوم، وأرادت العودة إلى بلدتها البلد، تمّ حجز مقعد لها في عربة «هايس» تُستخدم للنقل السريع للركاب من أماكن إقامتهم إلى منازلهم. لكن السائق نسي المرور بمقر الحاجة فاطمة، بينما كانت قد أعدّت نفسها للسفر وتنتظر، خِشي ابنها من غضبها ولم يُخبرها بالأمر. وكان تاجرًا، وقد اختلف في اليوم السابق مع أحد الباعة على سعر عربة «بوكس تويوتا». فاتصل به وسأله إن كان قد باع عربته، فأجابه بأنها ما زالت موجودة. فقال له: اشتريتها بالمبلغ الذي طلبتَه، وأزيدك، بشرط أن تكون جاهزة للسفر وأن تحضرها إلى منزلي حالاً، بعدها عرض على الحاجة فاطمة فكرة السفر إلى البلد بعربة خاصة، مع مرافقة أحد أبناء القرية الراغبين في العودة إليها، فوافقت. فاتصل ابنها بأحد السائقين المتمرسين في الطريق من أبناء المنطقة، وطلب منه توصيل الحاجة فاطمة، موصيًا إياه بألّا يُحدّثها عن سبب استخدام هذه العربة، وعندما وصلوا إلى منطقة التمام – وهي محطة قديمة وشهيرة على طريق شريان الشمال، كانت معروفة قبل تشييد الطريق الجديد ويتوقف عندها المسافرون إلى أم درمان والقادمون منها – وجدوا أن عربة (الهايس) التي تركت الحاجة فاطمة متعطلة. عندها أصرت الحاجة فاطمة أن يحمل ركابها معه إلى بلدتها، فهم أهلها، فأذعن السائق لأمرها على مضض. وحين سألته عن سبب امتعاضه، أخبرها بما حدث. فلم تُعلّق في حينه، لكنها أضمرت أمرًا في نفسها. وبعد وصولها إلى المنزل، أمرت السائق بإدخال العربة إلى فناء المنزل وركنها هناك. تردد السائق، فقالت له بلهجة حاسمة: (عربية ولدي اشتراها لي... عندك رأي؟)، وظلّت تلك العربة موجودة في البيت لفترة طويلة.

في ذات الإطار يحكي ابنها محمد سلطان موقفا آخرى: كنت قد اشترت منزلًا فخمًا في حي ،الفردوس بأم درمان، ودفعَت قيمته نقدًا .طلب صاحب المنزل مهلة ثلاثة أيام لإخلائه .وبعد انقضاء المهلة ذهبتُ لاستلام المنزل ترافقني والدتي

عند وصولنا، استقبلنا صاحب المنزل بفتور، وكانوا قد حزموا أمتعتهم استعدادًا للرحيل. أصرت زوجته على أن تشرب الحاجة فاطمة كوبًا من الشاي كواجب ضيافة ريثما تصل عربة الترحيل. وأثناء جلستنا وسمرنا معها، سألتها والدتي عن سبب بيعهم للمنزل، فانفجرت باكية وقالت: (والله يا أختي، اضطرينا نبيع البيت عشان نعالج ولدنا المصاب بالسرطان)، عندها انتفضت الحاجة فاطمة، وحدثتني بغضب قائلة بحزم: (الناس ديل ما دايرين يبيعوا بيتهم)، فقلت لها متعجبًا: (أنا ما بعرفهم، هم عرضوا البيت وأنا اشتريت، كيف يعني ما دايرين يبيعوا؟)، فأجابتني: (ديل دايرين يعالجوا ولدهم، وبيرجعوا ليك قروشك براحتهم)، ثم التفتت إلى زوجة صاحب المنزل وقالت: (قومي دخلي عفشك جوة بيتك)، وغادرت مسرعة، وعند الباب وجدت عربة النقل قد وصلت، فدفعت أجرتها، ثم ركبنا عربتنا وعدنا إلى بيتنا كأن شيئًا لم يكن.

ويضيف ابنها: وفي موقف مماثل، كان هناك أحد المدينين من أبناء مدينة كرمة في شمال .السودان قد ماطلني أنا واثنين من التجار في أم درمان من أبناء قريتي في سداد دينٍ عليه فتحنا ضده بلاغًا، وصدر أمر بالقبض عليه، فسافرنا إلى كرمة وألقينا القبض عليه، وأثناء عودتنا، وعند وصولنا إلى منطقة كنكلاب غرب النيل قبالة القدار، اتصلت على والدتي لأطمئن عليها، وأخبرتها أننا في كنكلاب وعلى عجلة من أمرنا، فما كان منها إلا أن قالت: (لو وصلت البلد وما داير تجي تسلم على عديلة). لم أجد بدًا من زيارتها. وبعد أن قامت بواجب الضيافة على أكمل وجه، بدأت تتعرّف على الضيف، فقال لها: (أنا مقبوض عليّ في قروش)، فسألته: (القروش دي حق منو؟). فأشار إليّ. فقالت له: (ده خليه، غيره في زول تاني؟). فأشار إلى الاثنين الآخرين. عندها تكفلت والدتي بالمبلغ المطلوب، فتنازل شركائي عن جزء من الدين، وقالت لصاحب الدين: (يا ولدي، ارجع لأهلك وأولادك).

يصف السيّد أحمد دردق الحاجةَ فاطمة عبد الرحيم بأنها امرأة صالحة؛ إذ كانت كريمةَ اليد، تنفق بسخاءٍ في السرّ إنفاقَ من لا يخشى الفقر، وتهتمّ بالفئات الضعيفة، فتقدّم لهم المساعدة في العلاج والزواج ومواساة أهل الوفيات، وتُجبر بخاطر المساكين، وكانت إذا حضرت سوق الثلاثاء باكرًا، تطلب من بعض التجّار الذين تثق بهم مبالغ محدّدة بحسب إمكانيّاتهم. فإذا اعتذر بعضهم قائلاً: «يا حاجة، لسه ما افتتحنا السوق، أصبري علينا قليلًا»، كانت تردّ بابتسامتها المعهودة: «جيبوا العندكم، ربّنا بيفتح عليكم».

كما تكفّلت بالأيتام، ويروي أحمد دردق أنها تولّت رعاية أربعةٍ منهم سرًّا حتى أتمّوا دراستهم الجامعية، ونجحوا في حياتهم، وكونوا أسرًا مستقرة، ومنهم من اغترب إلى دول الخليج العربي ونال مكانةً مرموقة في المجتمع. وعندما سألته عن أسمائهم قال: «لا أفشي سرًّا ائتمنتني عليه الحاجة فاطمة، ما دامت حيّةً وبعد مماتها».

امتدّ عطاؤها إلى كثير من الأسر والأرامل؛ فبنت لبعضهم بيوتًا، وكانت لا تأخذ إيجار دكاكينها في السوق، وتقول إنّ مَن يعملون فيها من بائعي الطعام والشاي يربّون أيتامًا، وبعد أن أسّست طاحونتها الشهيرة في القدّار، كلّفتني –يقول أحمد دردق– بإدارتها مقابل نصف العائد، لقربي منها. وكان بعض الناس، إذا جاءوا لطحن غلالهم وسألتهم الحساب، يقولون: «نحن من طرف الحاجة فاطمة». وبعد فترةٍ من الزمن، قمنا بجرد الحساب، فوجدنا أن الطاحونة خاسرة. فقلت لها: يا حاجة فاطمة، الناس الذين يطحنون كلّهم يقولون إنهم من طرفك، وأنا لا أرغب في متابعة العمل معك. فردّت قائلةً: إنتَ ما داير حقّ الآخرة؟، فقلت لها: أنتِ عندك المال والأطيان والنخيل، أمّا نحن فعندنا أولاد نريد أن نربّيهم.

ولعلّ من المشكلات التي واجهتني في التوثيق للكنداكة فاطمة عبدالرحيم أنّ عطاءها للكثيرين كان في الخفاء، ومعظم مواقفها الإنسانية ارتبطت بأسرار الآخرين. فبقدر ما يرفع ذكر هذه المواقف من مكانة الكنداكة، يكشف في الوقت نفسه بعض النقص في غيرها، فمثلاً تروي ابنتها إحسان قائلة: ذهبتُ ذات يوم لقضاء بعض حاجتي في السوق لإصلاح أجهزة كهربائية، لكنني فوجئتُ بصاحب المحل يرفض أخذ المقابل، وكأنّه يزيح عن كاهله همًّا كبيرًا وسرًّا دفينًا، قائلاً:

«ما بشيل قرش من بت حاجة فاطمة. عندما كنتُ محتاجًا، وبنيتُ زاوية للصلاة بإحدى حِلَل القدار، رفضوا إعطائي حقي بحجّة أن البناء غير مطابق ومائل. سلّمتُ أمري لله، وبينما أنا عائد التقيت الحاجة فاطمة جالسة أمام بيتها. نزلتُ بلا شعور وجلست بجانبها، فارتبكت وسألتني: مالك يا زول؟ إن شاء الله خير. دمعت عيناي، وحكيتُ لها القصة. فقالت لي: حسابك كم؟ ثم دخلت البيت، وأحضرت المبلغ، وقالت: هذا حقك، ولا تفتح فمك بكلمة لأحد، ويواصل الرجل: ومضت الأيام، وحين وضعت زوجتي مولودنا في ظروف صعبة، خطر في بالي اسم الحاجة فاطمة. ركبت حماري وذهبت إليها، فاستقبلتني قائلة: خير؟ رويتُ لها ما حدث، فتبرّعت فورًا بكل مصاريف الولادة والسماية.وبعد أن أنهت

إحسان سرد القصة، نظرت إليّ برجاء، فعرفتُ أنها لا تريد ذكر الأسماء، كانت تدرك جوابي، لكنها تساءلت متردّدة: و كتبتَ الأسماء الآن، ما موقفنا من ناس الحِلّة؟ وما موقف الرجل أمام أسرته؟

يُعَدّ السخاء والجود وإكرام الضيوف أحد أهم روافد عظمة شخصية فاطمة عبد الرحيم، وهي خصالٌ لازمتها حتى غدت سِمةً فارقة في حياتها، تشهد عليها روايات القريبين منها قبل غيرهم. وكثيرًا ما ترددت على ألسنة أبنائها وبناتها عبارة موجعة بعد وفاتها:(بعد وفاة الحاجة، أصبح الحمل ثقيلاً، وما قادرين نسدّ فرقتها من كترة الناس الكانت قاعدة تساعدهم)؛ في إشارة صادقة إلى سعة عطائها وامتداد أياديها البيضاء.

وفي اهتمامها البالغ بالضيوف وإكرامهم، تحكي ابنتها هاجر موقفًا ، فتقول: حدثت لي مشكلة مع أحد أساتذتي في كلية القانون بجامعة النيلين، وكان مراقبًا للامتحانات، وبسببها رفضت مواصلة الامتحان، وأصررت على موقفي لاعتقادي أنني كنت محقّة. فتدخّل الدكتور الدابي، أستاذ مادة القانون التجاري، ولتلطيف الأجواء سألني عن منطقتي في السودان، فأجبته: من القدار. فبدا عليه الاندهاش وقال:

– بتعرفي منو؟

فقلت له مستغربة:

– إنت بتعرف منو؟

فقال:

– فاطمة عبد الرحيم.

قلت له بإستغراب أكثر من الأول:

– دي أمي، بتعرفها من وين؟

فحكى للحضور: أنه كان ضمن مأمورية رسمية إلى منطقة القدار للتحقيق في ملابسات قضية حرق نخيل، وأنهم استُضيفوا حينها في مباني مدرسة القدار الثانوية بنات، وقضوا ليلتهم هناك. وفي الصباح الباكر جاءت امرأة ترتدي عراقيًا وسروالًا، وقبل أن تصل إلينا

استغربنا زيهل وحضورها، ثم سلّمت علينا وقالت بصوت جهوري:(كيف تبيتو في المدرسة وبيتي جنبكم؟)

وأضافت بلهجة آمرة حانية:البيت واسع وجاهز، شيلوا حاجاتكم وتعالوا وراي.

فتبعناها دون اعتراض أو نقاش، وكان في أمرنا ما يبعث على الحيرة، استقبلتنا في بيتها بحفاوة وترحاب بالغين، وذبحت لنا الذبائح، وأكرمتنا غاية الكرم. وبعد أن أكمل الدكتور الدابي روايته، طلب مني أن أذهب معه إلى منزله إكرامًا لي، وتم حل المشكلة.

وفي موقف آخر، يحكي أحد أبنها أن فاطمة عبد الرحيم التقت في محطة التمتام، الواقعة على الطريق بين الدبة وأم درمان، بناظر الهوّاوِير أبو قدم، فشعر بفطرته أنها ليست امرأة عادية، فأكرمها وذبَح لها. وعندما وصلت إلى البلدة، أرسلت إليه عربة محمّلة بالهدايا من البلح القنديل، والفول المصري، والخرفان. فما كان من الناظر أبو قدم إلا أن شدّ الرحال إلى القدار بنفسه، شكرًا وتقديرًا لها.

تنوعت علاقات الكنداكة فاطمة عبد الرحيم مع مختلف مكونات مجتمع المنطقة، من الفقراء والأغنياء على السواء، كما امتدت علاقاتها إلى قيادات من خارج الإقليم ومن شتى .مناطق السودان، حتى غدت علماً من أعلام المنطقة، يعرفها القاصي والداني

يروي باب الله – وهو من ذوي الإعاقة، وكان يتولى إدارة ماكينات المياه الخاصة بمشاريعها الزراعية – أن فاطمة عبد الرحيم كانت شديدة التواضع؛ تجلس معه أثناء العمل، وأحياناً تتناول معه سراً شراب (الدكاي) – وهو مشروب مُسكر يُصنع من التمر – كما سمعت ذلك من بعض الناس على سبيل التلميح. ورغم أن مثل هذه التفاصيل تندرج في إطار الخصوصيات، إلا أن الإشارة إليها هنا تأتي لتوضيح أن هذه المشروبات كانت، في ذلك الزمن، أمراً عادياً في الفزوعات والمناسبات الاجتماعية والأعراس، وتُتناول وفق قواعد اجتماعية متعارف عليها وفي جلسات خاصة، وذلك حتى ما يقارب أقل من خمسين عاماً مضت، وكان لكل فئة مشروبها الخاص؛ فالنساء كن يشربن ما يُعرف بـــالبقنية، وكذلك بعض شيوخ الخلاوي. وقد وقفت عند هذه النقطة بقصد شرح جانب من عادات وتقاليد الطعام والشراب في المنطقة، وهي عادات تزامنت مع جزء من الفترة التي تتناولها هذه السيرة.

وكما أسلفنا، كانت فاطمة عبد الرحيم كريمة الطبع، متشعبة العلاقات الاجتماعية، وكان بيتها مهيأً دائماً لاستقبال الضيوف. وقد شكّل منزلها مقراً لإخوتها، وهم من كبار رجال الأعمال في السودان، حيث كانت تستقبلهم وتستقبل ضيوفهم، وتقوم على شؤونهم. كما كان بيتها مفتوحاً لأبناء المنطقة وضيوفها، ومحطةً لكل المارين الذين لا يتجاوزونه.

وحكى لي الدكتور عبد الصبور حسن أحمد حامد أن والده، وهو من كبار علماء السودان المعروفين، كان أثناء زياراته لقريته المقاودة ينزل عندها أولاً، وكانت لها عنده مكانة خاصة. كذلك كان منزلها مقراً للاجتماعات التي يعقدها أعيان البلدة وقياداتها، حيث كانت تجلس معهم، وتشاركهم الرأي، وتسهم في اتخاذ القرارات المصيرية.

كما حافظت على علاقة طيبة تسودها المحبة والاحترام مع أبناء ضرتها، ونجحت بحكمتها ورجاحة عقلها في حلّ جميع مشكلات المواريث بالمودّة والحوار، (صورة رقم 19-20).

صورة رقم (19-20) الكنداكة فاطمة وأبناء زوجها على وسيف الدين سلطان

واحتفظت كذلك بعلاقات وثيقة مع إخوتها وأبنائهم، فكانت تبرّهم وتعزّهم، وتكرمهم غاية الكرم عند قدومهم لزيارتها في القدار، وتخصّص لهم مكانًا يليق بهم وبضيوفهم ومعارفهم، كانت أكثر لحظات حياتها متعةً، وأقصى ما تبلغ به سعادتها، أن يجتمع حولها جميع أفراد أسرتها، يأكلون ويتسامرون في حضرتها. ولم تكن تلك الروح محصورة في مكان واحد، فقد نقلت التجربة إلى أمّ، واشترت حوشًا كبيرًا ليكون فضاءً للَّمّة الأسرية، وموعدًا دائمًا للودّ والتلاقي،(صور رقم 21-22-23-24-25-26-27).

**فاطمة عبد الرحيم**

**سيرة كنداكة نوبية معاصرة 78 |**

**فاطمة عبد الرحيم**

**سيرة كنداكة نوبية معاصرة 79 |**

**فاطمة عبد الرحيم**

**سيرة كنداكة نوبية معاصرة 80 |**

(صور رقم 21-22-23-24-25-26-27)، الكنداكة مع فأراد أسرتها

كانت الكنداكة فاطمة عبد الرحيم تمتلك خبرة واسعة وتجربة إدارية عميقة في التعامل مع مختلف الفئات. وتروي الدكتورة منيرة ساتي، الأمين العام لمستشارية المرأة والطفل بالولاية الشمالية، أنه عند تسلّمها لمهامها زارتها مجموعة من الشخصيات القيادية بالمنطقة، وكان من بينهن الحاجة فاطمة عبد الرحيم، التي جاءت تحمل معها هدايا من الفول المصري ودقيق القمح، وتتذكر أنها، بادرتها الحاجة فاطمة بوصية صادقة قائلة:

«إنتِ ما في الخرطوم، نحنا هنا في دنقلا كلنا أهل، ولازم تعملي حسابك في أي خطوة. وأي زول يجي دنقلا عنده غرض داير يقضيه، لو بتقدري ساعديه، ولو ما بتقدري أوعك توعديه بالكذب».

ومن خلال احتكاك الدكتورة منيرة بها في عدد من المواقف، ومرافقتها لها في مقابلة بعض المسؤولين، تبيّن أنها كانت تتمتع بقدرة عالية على شرح قضاياها بوضوح وإقناع، وبثقة كبيرة في نفسها. وكانت تتعامل مع المسؤولين بنديّة واضحة، وتتحلى بسمات الشخصية القيادية، إلى جانب رؤية استراتيجية مستقبلية، من أبرز ملامحها طرحها لمشروعات الطاقة الشمسية في المجال الزراعي.

لم تكن الكنداكة فاطمة عبدالرحيم تضع المواقف السياسية ضمن أولوياتها، وإن كانت تتعامل مع الأنظمة السياسية بوصفها واقعًا مفروضًا تقتضيه ضرورات الحال، وتسعى إلى التوافق معه بما يخدم مجتمعها. ويبدو واضحًا أنها اكتسبت هذه الثقافة من معايشتها لطبيعة العلاقات التي كانت تربط الشيوخ بالسلطات السياسية عبر الحقب المختلفة. ومع ذلك، لا بد من الإشارة إلى عدد من النقاط المهمة:

أولًا: تمتعت الكنداكة فاطمة عبدالرحيم بثقلٍ انتخابي وازن في المنطقة، وكان لتأثيرها حضور واضح على المرشحين في الانتخابات المحلية، مستندة في ذلك إلى شبكة علاقاتها الاجتماعية الواسعة، سواء وسط طبقة العمال أو التجار، وما حظيت به من دعم واحترام كبيرين.

ثانيًا: كانت الكنداكة فاطمة عبدالرحيم من الشخصيات المحورية والمؤثرة في المنطقة، ومحطة لا يتجاوزها أي زائر من السياسيين أو الشخصيات المجتمعية والاقتصادية. كما ربطتها علاقات خاصة، بعضها ذات صلة رحمية، بقيادات بارزة في السودان تنتمي إلى منطقة دنقلا العجوز، من بينهم اللواء الزبير محمد صالح، النائب الأول لرئيس الجمهورية إبان ثورة الإنقاذ الوطني، فضلًا عن عدد من الوزراء والمسؤولين من أبناء المنطقة. ومن خلال هذه الروابط، ولا سيما دورها الاجتماعي، توطدت علاقاتها كذلك بزوجات المسؤولين.

ثالثًا: كانت الكنداكة فاطمة عبدالرحيم فاعلة في مختلف التنظيمات النسوية بالمنطقة، وعضوة في عدد منها، من بينها الاتحاد العام للمرأة السودانية وتنظيم نساء من أجل السلام. كما جرى ترشيحها لعدد من الجوائز النسوية على المستويين السوداني والإفريقي، بل وعلى المستوى العالمي.

# الفصل الخامس

# حصاد السنين ولمّسات الوفاء

# الفصل الخامس

# حصاد السنين ولمّسات الوفاء

تمثّل مسيرة الكنداكة فاطمة عبد الرحيم خلاصة عقودٍ من العطاء الصادق والعمل المجتمعي الدؤوب؛ إذ أسهمت إسهاماً واسعاً في دعم التعليم، ومساندة الفقراء والمساكين، والإسهام في مجالات التنمية البشرية، واضعةً الإنسان في صدارة أولوياتها. وبفضل هذا الحضور الفاعل والدور المتصل، غدت عَلَماً بارزاً من أعلام مجتمع منطقة دنقلا العجوز، ورمزاً إنسانياً واجتماعياً متجذّراً في وجدان أهلها. ويتناول هذا الفصل حصاد تلك السنين وما أثمرته من تقدير ووفاء، من خلال استعراض محطات التكريم التي نالتها، وتصدّرها للفوز بعدد من الجوائز المحلية، إلى جانب ترشيحها لجوائز إقليمية ودولية، في اعترافٍ موثّق بمكانتها الريادية وأثرها العميق والممتد في محيطها الاجتماعي والإنساني.

حظيت الكنداكة فاطمة عبدالرحيم بالعديد من لمسات الوفاء والتكريم، بوصفها ثمرةً طبيعية لما بذلته من خدمات اجتماعية جليلة، امتدت آثارها إلى مجالات التعليم، والتكافل المجتمعي، والتنمية الإنسانية. وقد جاء هذا التقدير من محيطها الأسري، ومن حفيداتها، ومن مجتمع قريتها، فضلاً عن وحدة دنقلا العجوز، تعبيراً عن الاعتراف بدورها ومكانتها، وتخليداً لعطائها الذي تجاوز حدود الزمان والمكان، (صور رقم 28-29-30).

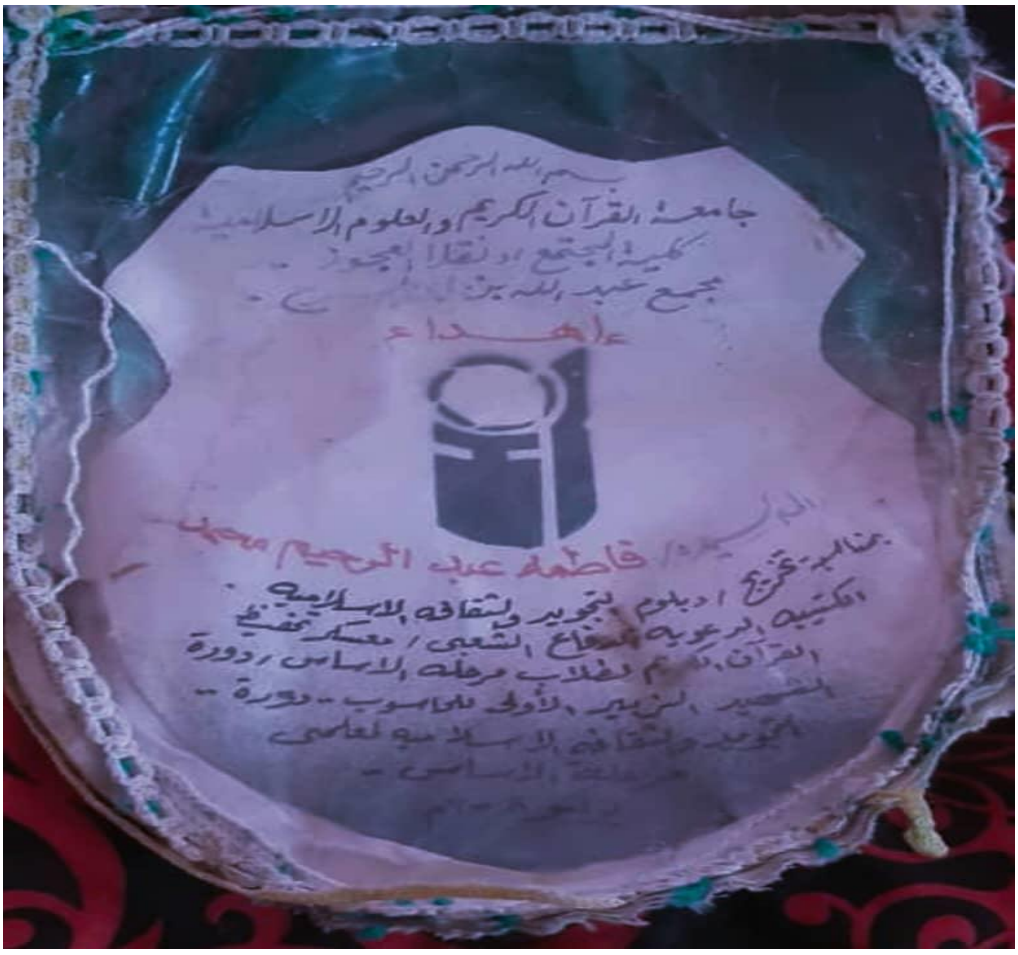


**فاطمة عبد الرحيم**

**سيرة كنداكة نوبية معاصرة 85 |**

(صور رقم 28-29-30)، نماذج من الشهادات التقديرية والتكريمية

وقد وجدت مجهودات الكنداكة فاطمة عبد الرحيم اهتماما كبيراً من المنظمات النسائية في الولاية الشمالية والسودان حتى تم تكريمها تتويجًا لمسيرة طويلة من العطاء والإنتاج، عام 2001م على مستوى السودان ضمن جائزة الإبداع لنساء الريف التي ينظمها اتحاد المرأة السودانية، وهي جائزة قومية تُمنح لأكثر النساء إنتاجًا وتأثيرًا في الريف السوداني.

بدأت إجراءات الترشيح بصورة منهجية ودقيقة من الوحدة ثم المحلية، حيث رُشِّحت الحاجة ضمن عدد من النساء، ثم رُفعت أعمالها إلى الولاية وبعد اجتياز المنافسة تم اعتمادها على المستوى القومي. اعتمد الاختيار على بحث ميداني شامل، شمل توثيق أعمالها الزراعية والإنتاجية ودورها الاجتماعي، بمشاركة الجهات النسوية المختصة واتحاد المرأة.

أُقيم برنامج التكريم الرسمي في قاعة الصداقة بالخرطوم بحضور قيادات الدولة وممثلي الولايات، حيث قُلِّدت الميدالية الذهبية على يد السيدة فاطمة خالد، كما تم تكريمها بواسطة رجاء حسن خليفة رئيسة اتحاد المرأة السودانية. وتضمّن البرنامج فطورًا رسميًا ومعرضًا متكاملًا لإنتاجها، شمل أكثر من عشرين نوعًا من التمور، إلى جانب المحاصيل والتقاوي والشتول،(صورة رقم 31).

صورة رقم(31)، الميدالية التى تم منحها للكنداكة

تميّز تكريمها بكونه تكريمًا قوميًّا، إذ تنافست في الجائزة نساء من أرياف السودان كافة، ونالت الحاجة المرتبة الأولى لما عُرف عنها من إنتاجية عالية واعتمادها المباشر على العمل

الزراعي، إضافة إلى دورها الاجتماعي البارز، حيث ثبت أنها تعول تسعًا وتسعين أسرة، وهو عامل حاسم في فوزها بالجائزة.

واستكملت فعاليات التكريم ببرنامج اتحاد المرأة، شمل غداءً في دار اتحاد المرأة، ثم عشاءً بدعوة رسمية في منزل رئيس الجمهورية آنذاك. وقد استغرق الإعداد لهذا الحدث الوطني نحو خمسة عشر يومًا، بمشاركة الأرحام والأقارب والمعارف، وبحضور واسع من ممثلي الولايات والمنظمات والاتحادات النسوية، وتخلل الاحتفال عرض فني لفرقة الأحفاد الجامعية.

بهذا التكريم القومي، أصبحت الحاجة فاطمة عبد الرحيم رمزًا للمرأة الريفية المنتجة، ونموذجًا وطنيًا يجسّد قيمة العمل والإنتاج والتكافل الاجتماعي في السودان. وقد أشارت الصحفية عواطف عبداللطيف في كتابها الموسوم بـ (بتراب قطر)، الصادر عن دار الشروق عام 2025م، إلى هذا التكريم، وذلك في سياق حديثها عن زيارة وفد نسائي سوداني رفيع المستوى إلى دولة قطر، ترأسته الحاجة فاطمة خالد حرم المشير عمر البشير رئيس جمهورية السودان آنذاك، وبرفقة الأستاذة رجاء حسن خليفة رئيس الاتحاد العام للمرأة السودانية، وذكرت الكاتبة أن حرم الرئيس كانت كثيرة الإشادة بالكنداكة فاطمة عبدالرحيم، مثنية على أدوارها المجتمعية ومكانتها الرمزية، وجاء في الكتاب ما نصّه: (طلبت من السيدة الأولي مخاطبة الحضور فقالت لي بعفويتها المعروفة : أقلهن شنو حدثيهم عن تكريم المرأة المنتجة وأنا بساعدك .. وكنت تابعت الحدث عبر الفضائية السودانية وقتها لفت نظري تكريم أمراة رمز من دنقلا العجوز / القدار أعرف عائلتها وهي الحاجة فاطمة سلطان عبد الرحيم حيث شقيقها كان من أكبر تجار مدينة كوستي مسقط راسي وجنوب السودان ... ولمحاسن الصدف وبعد هذه السنوات الطويلة وأنا اسطر هذه الذكريات أن أحد الصديقات توصلني بالحاجة فاطمة والتي أول من أدخل الطاقة الشمسية لمشروعها الزراعي بدنقلا ...).

في دراسة إكاديمية الطالبة: إقبال جعفر الحسين، بعنوان(إسهامات المرأة في التنمية الريفية: دراسة تطبيقية على النساء الفائزات بجائزة الإبداع لنساء الريف في الفترة من (1999–2001م)، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الزراعة، أم درمان، السودان، 2002م، أشارت إلى أن الكنداكة فاطمة عبدالرحيم، ووفقًا للدراسة الاستقصائية

التي أُجريت عقب نيلها للجائزة، قد تميّزت عن غيرها من الفائزات بكونها قائدة مجتمعية فاعلة؛ إذ أسهمت في تربية الأيتام، ودعم الزيجات، وحفر آبار المياه، وغيرها من أوجه العمل الاجتماعي، وفي تسجيلٍ صوتي للدكتورة إقبال، ذكرت لبي عبارةً شهيرةً للكنداكة لم تنسها، حيث كانت تقول( إن لم أستطع حلَّ المشكلة — وتشير إلى لسانها —حللتها — وتشير إلى جيبها، في دلالةٍ على أنه إذا عجزت عن حل أي مشكلة بالكلمة، فإنها تسعى إلى حلّها بالمال).

ويضيف الأستاذ محمد أحمد عبد الله، أحد المتابعين لملف الجئزة، أن الكنداكة فاطمة عبد الرحيم قد جرى ترشيحها رسمياً من السودان، وفق القواعد والمعايير المعتمدة، لنيل جائزة المرأة الأفريقية المنتجة على مستوى الاتحاد الأفريقي، وذلك عقب فوزها بـ جائزة الإبداع لنساء الريف على مستوى السودان. وبعد مداولات لجنة التحكيم الأفريقية، تم اختيار الكنداكة فاطمة عبد الرحيم للفوز بالجائزة، وكان من المقرر أن تسافر إلى جمهورية جنوب أفريقيا لتسلّمها خلال الاحتفال المقام بهذه المناسبة؛ غير أن الكنداكة اعتذرت عن السفر لأسباب عدة، من بينها صعوبة إجراءات الرحلة في ظل عدم توفر طيران مباشر إلى جنوب أفريقيا آنذاك، وهو ما ترتب عليه سحب ترشيحها، كما لم تُوفَّق الجهات المختصة في الحكومة السودانية في إرسال من ينوب عنها لاستلام الجائزة. وفي هذا السياق، تسترجع ابنتها سميرة ذكريات تلك المرحلة بقولها:(بتذكر كانوا بدوا في تحديد إجراءات المرافق للسفر، لكن أمي ما كانت متشجعة للسفر واعتذرت)، وأكدت إفادات من الأسرة والجهات المعنية أن الكنداكة فاطمة عبدالرحيم لم تكن من الشخصيات الساعية إلى الظهور أو البهرجة الإعلامية، غير أن حجم إنجازاتها فرض نفسه على دوائر الترشيح والتوثيق. وبمبادرة من أسرتها والاتحاد المعني، جرى تخصيص جناح كامل لها بقاعة الصداقة، عُرضت فيه سيرتها وإنجازاتها الاجتماعية والتنموية، ولا سيما ما يتصل بتمكين نساء الريف في السودان، وذلك ضمن ملف توثيقي متكامل أُعدّ للمنافسة على مستوى الجوائز الأفريقية. وقد استوفى هذا الجناح المعايير المطلوبة للترشيح القاري، وأُدرجت من خلاله الكنداكة فاطمة عبدالرحيم ضمن قوائم المنافسة على جائزة المرأة الأفريقية المنتجة وغيرها من الجوائز ذات الصلة، باعتبارها نموذجاً للقيادة المجتمعية النسوية ذات الأثر الممتد. ورغم اكتمال الترتيبات الفنية والإجرائية، حالت ظروف السفر دون إتمام هذا الاستحقاق،

لتظل هذه المحطة شاهداً واضحاً على مستوى التقدير الأفريقي الذي بلغته تجربتها، وإن لم يكتمل في صورته الاحتفالية.

تم ترشيح الكنداكة فاطمة عبد الرحيم ضمن ألف امرأة جرى اختيارهن من مختلف دول العالم لنيل جائزة نوبل للسلام لعام 2005م. وقد ضُمّنت سيرتها الذاتية ودورها الاجتماعي والاقتصادي في كتاب بعنوان:(1000 امرأة من أجل السلام عبر العالم)،من إصدار: كونتراست (KONTRAST)،الجهة الناشرة: جمعية 1000 امرأة من أجل جائزة نوبل للسلام 2005م

يوثّق هذا الكتاب قصص ونضال ألف امرأة تم ترشيحهن جماعيًا لجائزة نوبل للسلام عام 2005م، بهدف تسليط الضوء على الدور المحوري للمرأة في بناء السلام العالمي.

ورد في حيثيات ترشيح الكنداكة فاطمة عبد الرحيم لهذه الجائزة العالمية المرموقة، كما جاء في الكتاب (الصفحة 441 – صورة رقم32-33):

لم تتلقَّ فاطمة عبد الرحيم 69 عامًا (تعليمًا نظاميًا .ففي عام 1960م بدأت نشاطًا زراعيًا في القطاع الخاص بقرية القدار في شمال السودان .وتنتج مزارعها سنويًا محاصيل وفيرة من التمور والفول السوداني والذرة الرفيعة .كما تستقطب عددًا كبيرًا من العمال في نشاطها الزراعي، وتعتمد نهجًا عمليًا في التنمية الاجتماعية .وتتمثل القضايا الرئيسة التي تركز عليها، وفقًا لرؤيتها للإصلاح الاجتماعي، في الحد من الفقر وتحسين الظروف المعيشية للفئات الأقل حظًا في السودان .وفاطمة عضو في الاتحاد العام للمرأة السودانية (SWGU).

.لم تحصل فاطمة على تعليم رسمي، إذ نشأت في قرية صغيرة في أقصى شمال السودان وعندما توفي زوجها وترك لها عبئًا ثقيلًا يتمثل في تربية خمسة أطفال، اضطرت إلى العمل والكفاح من أجل إعالتهم .وفي الوقت نفسه، استلهمت فكرة تحسين الأوضاع الاقتصادية لقريتها .وعندما بدأت عملها عام 1960م، لم تكن تمتلك موارد مالية، غير أن الثقة التي حظيت بها من أهل المنطقة مكّنتها من اقتراض بعض المال وإدارة مشروع صغير.

.وقد نما مشروعها تدريجيًا حتى أصبحت تمتلك مزرعة نخيل تبلغ مساحتها خمسة أفدنة في البداية اعتمدت على أساليب الزراعة اليدوية التقليدية، ثم ومع تحسن دخلها، اشترت

بعض الآلات الزراعية، مثل الجرارات، للمساعدة في حراثة الأرض .وإضافة إلى زراعة التمور، بدأت بزراعة محاصيل رعوية لتغذية الحيوانات، حيث تبيع جزءًا منها وتحتفظ بالباقي لتغذية الماعز والأغنام التي تقوم بتربيتها.

وقد أكسبها الإنتاج العالي لأراضيها سمعة طيبة بوصفها مزارعة ناجحة؛ فهي لا تنتج محاصيل وفيرة من التمور والفول المصري والذرة الرفيعة فحسب، بل وفّرت أيضًا فرص عمل للعديد من النساء والرجال في قريتها .ومن خلال توفير هذه الفرص، ترى فاطمة أنها أسهمت في تحسين الظروف المعيشية لأهالي القرية.

ولذلك حظيت بالإشادة بوصفها نموذجًا ناجحًا للمرأة المعيلة في مجتمع لا يزال يهيمن عليه الرجال، ويتجاهل في كثير من الأحيان دور المرأة في تحقيق الاستقلال المالي .وقد أصبحت مثالًا يُحتذى به لنساء أخريات، إذ ألهمتهن الثقة في قدراتهن، وأثبتت أن الحرمان من التعليم النظامي لا ينبغي أن يكون عائقًا أمام اغتنام فرص الحياة والمشاركة في تنمية المجتمع ورفاهيته.

بدأت فاطمة نشاطها الزراعي من الصفر، وأصبحت أعمالها اليوم تسهم في تحسين الأوضاع الاقتصادية للعديد من الأسر، لا سيما في القرى، كما توفر المحاصيل الوفيرة لمزارعها في شمال السودان مواد غذائية أساسية، مثل التمور والفول المصري.

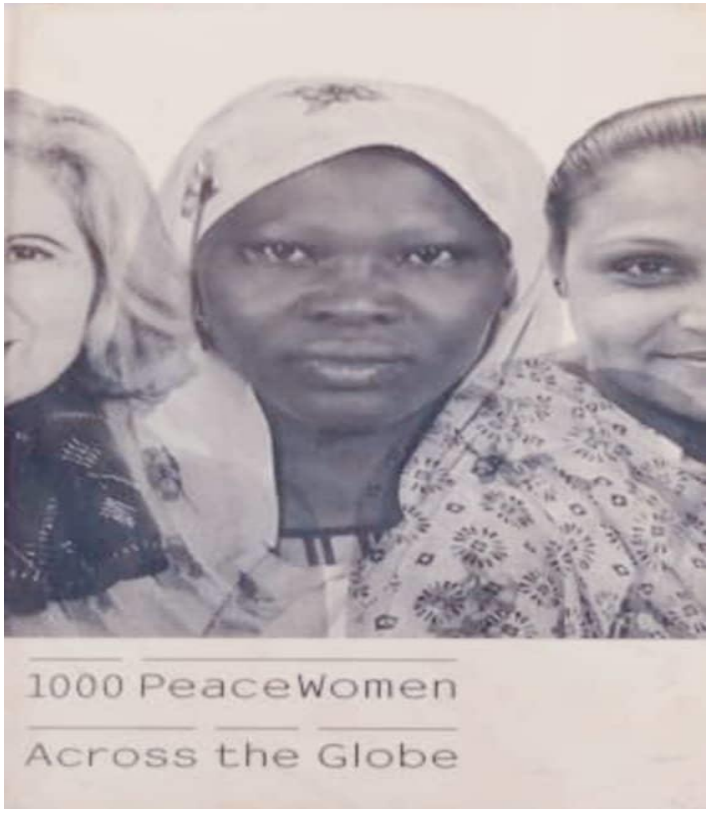


صورة رقم(32)، غلاف الكتاب

صورة رقم(33)، الصفحة الخاصة بالكنداكة فاطمة في متن الكتاب

ونختِم هذا الفصل بالتأكيد على أن الكنداكة فاطمة عبدالرحيم شكّلت أيقونةً للمرأة السودانية التي صنعت مجدها بعملها، ورسّخت مكانة أسرتها في الوجدان العام بشهادة المجتمع من حولها .فقد كانت حاضرة في صدارة المشهد الاجتماعي، وسيدةً للقاء في مختلف المناسبات، تؤدي أدوارها بعفوية ومسؤولية، دون سعيٍ إلى الأضواء أو ادعاء. غير أن جانباً مهماً من هذا الحضور فقدَ توثيقه، نتيجة ضياع عدد كبير من الشهادات والصور والمستندات المرتبطة بتلك المناسبات، وهو ما يُعزى إلى ضعف الوعي بأهمية التوثيق في الثقافة العامة، فضلاً عن الظروف الاستثنائية التي مرّ بها السودان. فقد أسهمت الحرب الدائرة منذ منتصف أبريل 2023م، إلى جانب الكوارث الطبيعية من أمطار وسيول، وانتقال مقر الأسرة أكثر من مرة، في فقدان كثير من الوثائق ذات القيمة التاريخية والإنسانية.

وفي هذا السياق، تقول أمينة محمد عبدالرحيم متحسّرة: (الحاجة المحيراني وأنا آسفة عليها: وين مشت شهاداتها وصورها البتعبر عن مواقفها مع الجاليات الأفريقية أو الآسيوية، وحتى بعض المعسكرات في دنقلا).

وتضيف، في استدعاءٍ لبعض المحطات الموثقة في الذاكرة الشفاهية، أن من بين لحظات التكريم التي لا تُنسى تكريمها بلوحة كُتبت عليها سورة (يس)، كما تشير إلى أن آخر مشاركة اجتماعية لها كانت في تكريم المعلمين من أبناء المهجر، حيث قامت بنفسها بإلباس الوشاح للمعلمين والمعلمات بمدارس القدار، في مشهدٍ يؤكد استمرار حضورها ومشاركتها الفاعلة في مختلف مناحي الحياة حتى آخر العطاء.

وأصبحت الكنداكة فاطمة عبد الرحيم رمزًا للعديد من الأنشطة النسوية، فاختيرت أيقونة للكتيب التعريفي لمنبر سودانيات يبنين السلام (SWBPF)، وهو منصة وطنية مدنية تسعى إلى تعزيز دور المرأة السودانية في البناء والاستقرار، مؤكدة أن السلام لا يتحقق إلا بمشاركة قيادية وفاعلة للنساء، (صورة رقم34).

صورة رقم(34)، االكنداكة في لكتيب الخاص بمنبر نساء سودانيات يبنين السلام

# الفصل السادس

# رحيل الكنداكة واستمرار المسيرة

# الفصل السادس

# رحيل الكنداكة واستمرار المسيرة

هذا هو الفصل الأخير من ملامح السيرة والحياة للكنداكة فاطمة عبد الرحيم، التي رحلت عن دنيانا تاركةً وراءها إرثًا عظيمًا، غدا زادًا لكنداكـاتٍ أخريات يواصلن المسيرة، ويملأن الفراغ، ويؤكّدن عظمة دور المرأة النوبية في المجتمع وامتداده عبر الأجيال.

ويتوقّف هذا الفصل عند محطات مرضها ورحيلها، ومشهد وداعها وتأبينها، وما قيل في حقها من كلماتٍ صادقة عبّرت عن مكانتها في القلوب، وعن أثرها العميق في الوجدان الجمعي.

في عام 2012م كانت بدايات مرض الكنداكة فاطمة عبدالرحيم، فقد شعرت بطعنات في قلبها فذهبت للمساعد الطبي الشهير في المنطقة محمد جعفر وكانت تربطها به علاقة طيبة وممتدة، وعندما سمعت ابنتها سميرة بالخبر انطلقت إليها فطمنها محمد جعفر، (صورة رقم35).

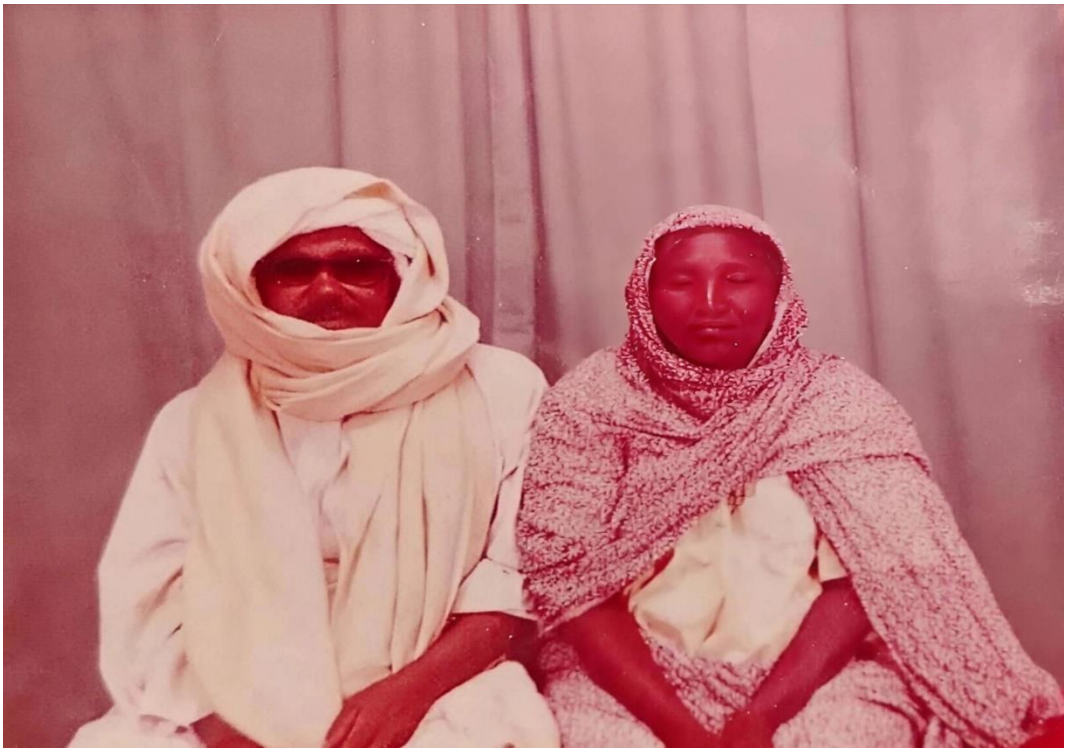

صورة رقم(35)، الكنداكة و محمد جعفر(عام1987م تقريباً)

قرأت الكنداكة فاطمة عبد الرحيم في عيني ابنتها خوفها وقلقها حذرتها بقولها: ( أنا كويسة لو كلمتي أخوانك ماعافية منك) ولأول مرة تخالف لها أمرا لأن مرض والدتها موضوع لا تخصها لوحدها ولأنها لأول مرة تشاهدها في حالة ضعف فلم تتحمل ذلك، فاتصلت بهم في الخرطوم فتحركوا من فورهم لبلدهم، وكانت الكنداكة حينها تعاني من ذبحة صدرية، وتم ارجاعها للمنزل، وأحست بأن ابنتها أخبرت أخواتها بمرضها لأنها كانت تمهد لها بأنهم قد يحضرون من الخرطوم ليسلموا عليها.فوبختها على ذلك. وبعد أن اطمئنوا عليها أجمعوا على أن تسافر للخرطوم لمقابلة الاخصائيين هناك فرفضت وتحججت بأن ناقتها في حالة ولادة وأنها لن تتركها وتذهب، ورغم أن حجتها كانت واهية في نظرهم ولكن قد تعكس بعدا إنسانياً للكنداكة ومدى رفقها بحيوانتها وارتباطها بهم وبأرضها. وبينما هم في يتجادلون في هذا الموضوع. جاء حيدر المسئول من رعاية الناقة مبشراً بصوت عالي:(ياحاجة مبروك الناقة ولدت)، فتهللت اسارير الكنداكة وأمرت بأن يعطوه هدايا من سكر وصابون الخ مقابل هذه البشارة، فشاركها ابنها وبناتها والحضور هذه الفرحة التي حسّنت من مزاجها وانعكست على صحتها في الفور، فكرروا طلبهم بأن تسافر معهم ليومين أو ثلاثة حتى يطمئنون على صحتها (ما دام البشارة جاءت بولادة الناقة) فوافقت على مضض ولكنها لم تنسى أن تعاقب ابنتها سميرة معنوياً فاشترطت عدم مرافقتها في السفر ولكنها تراجعت بعد تدخل الأجاويد من الأهل، ويبدو أنها كانت تريد أن توصل لهم رسالة مفادها أنها لن تتسامح مع من يخالف لها أمرا رغم أنها كانت راضية تماماً باهتمام أبناءها وأهلها وتجمعهم حولها. في اليوم التالي من سفرها لمنزل ولدها في أم درمان عاودتها حالة طعنات القلب والذبحة القلبية مرة أخرى تم نقلها إلى مستشفى رويال كير بعد استشارة الطبيب الأخصائي. هناك تجمع أهلها ومعارفها ومحبيها فأمتلأت ساحات المستشفى بعدد غفير من الناس بمختلف أطيافهم الأطباء والمهندسين والتجار والمزارعين والعمال مما أثار تساؤلات عند العاملين في المستشفى وحاولوا إخراجهم فتصدى لهم بعض وجهاء المجتمع ونصحوهم بأن هذه المريضة لهم مكانة خاصة في مجتمعها وكما ترون أمامكم من الوافدين حضور المزارعين والعمال بغبارهم لذا اتركوهم حتى لا يحدثوا فوضى في المستشفى فامتثلوا لنصحهم. بعد إجراء عملية دعامة قلبية للكنداكة خرجت من المستشفى متشافية فتم عمل كرامة كبيرة بهذه المناسبة. ولكنها لم تعد في كامل صحتها السابقة، وكانت تراجع الأطباء من حين لآخر، (صورة رقم 36-37 ).

صورة رقم (36-37)، الكنداكة رغم مرضها تشارك في المناسبات الاجتماعية

**فاطمة عبد الرحيم**

أثناء متابعتها للعلاج مستشفى رويال كير، كانت الكنداكة فاطمة عبدالرحيم تحت إشراف الطبيب الأخصائي عوض، وهو من أبناء القولد، وكانت تربطه بها علاقة خاصة وممتدة، شكّلت أحد أسباب اختيار الأسرة له للإشراف على علاجها. وخلال هذه الفترة، بدأت تعاني من حالات فتور متكرر، مع مؤشرات واضحة على تأثر وظائف الكلى، (صورة رقم 38).

صورة رقم(38)، الكنداكة أثناء مقابلة طبية في الخرطوم

ومع اندلاع الحرب في الخرطوم في الخامس عشر من أبريل عام 2023م، اضطرت الأسرة إلى الانتقال بها إلى القدار، علمًا بأن الكنداكة كانت قد شيّدت من قبل منازل خاصة لأبنائها وبناتها في حي المجلس، وكأنها كانت تستشرف مثل هذه الظروف الاستثنائية. غير أن المرض لازمها، فترددوا بها على الأطباء في كل من مروي ودنقلا، إلى أن استقر الرأي في نهاية

المطاف على نقلها إلى جمهورية مصر العربية، رغم تدهور حالتها الصحية وصعوبة السفر في تلك الظروف، وهو قرار لقي قبولًا ورضًا منها.

وكان الخيار الأسهل آنذاك هو التوجه إلى مدينة وادي حلفا الحدودية، حيث مكثت الأسرة قرابة شهر كامل لتلقي الرعاية الطبية، ريثما تُستكمل إجراءات السفر، في ظل الازدحام الشديد الذي شهدته القنصلية بسبب تداعيات الحرب الدائرة في السودان. وخلال هذه الفترة، ازداد تأثر الكلية وتفاقمت حالتها الصحية، (صورة رقم39).

صورة رقم(39)، الكنداكة في مستشفي حلفا

ولعلّنا نشير هنا إلى آخر مكالمة هاتفية جمعت الكنداكة فاطمة عبد الرحيم بابنةأخيها شيبون، وذلك في ذروة مرضها، وهي تحاول أن تطمئن عليها تقول شيبون: ( اتصلت عليّ وهي عيانة، ونفسها قايم، وسألتني :يا شيبون إنتِ عيانة؟ وعندك الأزمة؟ وبعدها الخط قطع ...ودي كانت آخر مرة أسمع صوتها).

**فاطمة عبد الرحيم**

**سيرة كنداكة نوبية معاصرة 100 |**

ويعكس هذا الموقف بُعدًا إنسانيًا عميقًا في شخصية الكنداكة، ويجسّد مدى اهتمامها الصادق بأفراد أسرتها، إذ ظلّ همّ الآخرين حاضرًا لديها حتى في أشد لحظات المرض والألم.

وعند سفرها إلى مصر، رافقتها ابنتها هاجر، حيث أُجري لها غسيل كلوي.

لم يُسمح بالسفر معها إلى القاهرة إلا لفردٍ واحد وفقاً للوائح المعمول بها، فوقع الاختيار على ابنتها هاجر لمرافقتها، مراعاةً لظروف الأسرة. وتم السفر يوم 7يناير 2025م حيث تلقت علاجها بمستشفى كايرو كلينك بالمهندسين، وأُجريت لها جلسات غسيل للكُلى، وشعرت بعدها بتحسّن ملحوظ. وخلال تلك الفترة، تواصلت مع بناتها وأهلها، وطمأنتهم على صحتها، واطمأنت بدورها على أحوالهم. غير أنّ حالتها الصحية ما لبثت أن انتكست، ولم تستجب للعلاج، لتفارق الحياة يوم 4 فبراير 2025م، (صورة رقم 40).

صورة رقم(40)، الكنداكة في أخر أيامها بمستشفي كايرو كلنك

وتحدثنا ثويبة ميرغني عبد الرحمن - تربطها صلة رحم ومصاهرة بها -بتفاصيل مؤثرة عن أيام رحلة مرض الكنداكة في القاهرة، قائلة:

تسارعت خُطاي حين رنّ هاتفي، وكانت المتصلة الخالة العزيزة هاجر، تبشرنا بوصولهم من السودان. سررت كثيرًا بخبر الوصول، ويعلم الله أنني لم أكن أعلم بمرضها قبل تلك المكالمة. على الفور أسرعنا بزيارتها في منزلها بحي الدقي، قبالة مترو الميدان.

كان في استقبالي ابننا معتز محمد سلطان، الذي اصطحبني إلى المنزل، وهناك التقيت بخالتي هاجر وابنتها فاطمة. بعد التحية والسلام وتبادل الأحاديث، علمنا أنها كانت في وقت راحتها من النوم. وبعد برهة، جاءت لحظة اللقاء؛ تبادلنا الأحضان، وانهمرت الدموع شوقًا وتأثرًا، وجلسنا معها نستعيد ذكريات خالدة في الوجدان عن السودان، وعن القدار على وجه الخصوص. راحت تحكي لنا عن رحلتها العلاجية منذ مستشفى حلفا وحتى وصولها إلى مصر.

كانت لحظات جميلة رغم قسوة الظرف، وتعب السفر، وألم المرض، إلا أن الجلوس في حضرتها كان باعثًا للسكينة والجمال. مرّ الوقت سريعًا، ساعتان انقضتا ونحن نتبادل الحديث معها.

حينها حان موعد الذهاب إلى الطبيب. كان الأبناء معتز وعبدول وعدد من الأصدقاء في انتظارنا. توجهنا جميعًا وسط توتر وترقب، وبعد إجراء الفحوصات الأولية، كانت ابنتنا فاطمة حلقة الوصل بيننا وبين الطاقم الطبي. وبحمد الله، جاءت النتائج مطمئنة ومبشرة بالخير، فعُدنا إلى المنزل وقلوبنا أكثر اطمئنانًا.

كنت أنوي المبيت معها ذلك اليوم، لكن حالتها الصحية كانت مستقرة، فعدت إلى منزلي مطمئنة.

في صباح اليوم التالي، رنّ هاتفي مرة أخرى، وكانت الخالة هاجر تخبرني بأنهم الآن في مستشفى الأمل لإجراء فحوصات إضافية تمهيدًا للكي، بحسب توصية الطبيب المحوِّل. كان المستشفى لا يبعد عن منزلنا سوى دقائق، فوصلت سريعًا. وجدتها – رحمها الله – جالسة على كرسي متحرك، في قمة الوقار والفخامة، تتحدث بصوت عالٍ تسأل: متى أدخل

إلى الطبيب؟ لقد طال الانتظار. جاءت الممرضة مبتسمة، وقالت: هيا يا أمي، معي إلى الطبيب.

بعد قليل، خرجت الممرضة وطلبت منا نزع ما ترتديه من حُلي. التفتت إليّ قائلة: خذيها يا بنتي. لم أملك إلا أن أنزع الخاتم من يديها الجميلتين، وأنا أحبس دموعي. كانت ترتدي الثوب السوداني بكل حشمة ووقار، والإسدال يغطي وجهها، وهي توزع ابتسامتها قبل أن تدخل غرفة العلاج.

طال الانتظار، ثم علمنا أنها ستخضع لجلسة غسيل كُلى تستغرق ثلاث ساعات، وأدركنا أننا سنمكث في هذا المكان أيامًا. كانت الساعات تمر كأنها سنون. عدنا أنا والخالة هاجر إلى منزلي لأخذ قسط من الراحة، ثم عدنا مسرعين إلى المستشفى. أخبرنا معتز أن الأمر سيستغرق قرابة ثلاثة أيام.

في صباح اليوم التالي، توجهنا إلى المستشفى، لكن الحرس منعنا من الدخول حتى وقت إعادة المريض، ثم سمح لنا بعد تردد. وبعد انتظار، جاءنا معتز بالبشرى بأنها بخير وستخرج إلى غرفة الانتظار. كانت حالتها مستقرة، ومعنوياتها عالية، وسمحوا لنا بزيارتها. حضر عدد كبير من الأهل والأصدقاء للاطمئنان عليها، وكانت تضحك وتمزح وتتحدث عن الزراعة والمشاريع والسودان... جسدها في مصر وقلبها معلّق بالوطن.

خرجنا بها إلى المنزل متأخرين، واتفقنا أنا والخالة هاجر على إعداد وليمة إفطار شكرًا لله على شفائها. عدت إلى منزلي مطمئنة.

لكن في صباح اليوم التالي، جاء الاتصال الصادم: أُعيدت إلى مستشفى كايرو كلينك بالمهندسين. هرعنا إلى هناك، فوجدناها في غرفة الإنعاش، ممنوع الدخول إلا في أوقات محددة. انتظرنا حتى موعد الزيارة، ودخلنا وسط زحام شديد، وكانت الزيارة لا تتجاوز دقائق معدودة.

في الأيام الأولى، كانت حالتها مستقرة، ثم مررنا بلحظات صعبة حين تدهورت حالتها فجأة، لكن الأطباء تمكنوا من إنقاذها، وعادت للاستقرار. استمرت الزيارات، وكنا نتناوب الدخول لرؤيتها. كانت ترفض الطعام أحيانًا، وتسأل باستمرار عن الخال محمد، ولا توافق على الأكل إلا بعد وعد بالحديث معه.

**فاطمة عبد الرحيم**

مرت الأيام ونحن نترقب الشفاء، لكن قضاء الله سبق. في صباحٍ باكر، رنّ الهاتف، وكانت الخالة هاجر، بصوت مبحوح مخنوق بالبكاء، تنعاني بخبر الوفاة. لحظات لا توصف، تجمد فيها كل شيء، ثم تماسكت، وهرعت إلى المستشفى.

تحول المكان إلى بيت عزاء، واجتمع الأهل والأقارب، وبدأت إجراءات الغسل والتجهيز والسفر. حضرت الغسل مع الخالة هاجر والأستاذة آسيا عزير، وكانت لحظات موجعة لا يحتملها القلب. ودّعناها بالدعاء، وسلمنا الجثمان تمهيدًا للسفر برًّا إلى أسوان ومنها إلى الغدار.

خرجت سيارة الإسعاف، والكل في بكاءٍ ونواح، قريبًا وغريبًا، حتى العاملون بالمستشفى تأثروا بالمشهد. كان الفقد عظيمًا، والوجع أكبر من الوصف.

أسجل هذه اللحظات وقلبــي يتفطر حزنًا، والعبرة تخنقني، والحروف تتبعثر. أسأل الله لها الرحمة والمغفرة، والقبول الحسن، وأن يلهمنا جميعًا الصبر والسلوان).

قررت الأسرة، أن يُوارى جثمان الكنداكة فاطمة عبد الرحيم الثرى في قريتها بالسودان، وجرى ترتيب نقل الجثمان بعربة إسعاف تحركت في نحو الساعة الثانية عشرة ليلاً، ووصلت إلى المعبر المصري قرابة الرابعة صباحاً، حيث نُقل الجثمان بعدها إلى عربة «بوكس» لمواصلة الرحلة إلى مثواه الأخير.

وكان الطريق من حلفا طويلاً وشاقاً، إذ يتجاوز طوله 600 كيلومتر. وتحكي ابنتها هاجر، التي كانت برفقة الجثمان، أنه أثناء الطريق توقفت العربة للتزود بالوقود في محطة بنزين بمنطقة مقفرة. تقدم صاحب المحطة، وقرأ الفاتحة على الروح الطاهرة، وفق العادة السودانية، ثم سأل: إنتو من وين؟، فأجابوه أنهم من القدار. فقال: إنه يعرف بعض أهلها، ولما قيل له إن الجثمان هو جثمان فاطمة عبدالرحيم، تبدلت ملامحه فجأة، وأمسك بصندوق العربة، وانفجر في بكاءٍ مريرٍ وطويل، حتى تدخل الحضور خشية تأخر الرحلة.

وعندما سألوه عن قيمة الوقود، نظر إليهم باستغرابٍ واستنكار، وقال بغضبٍ ممزوج بالألم: (كيف تقولوا لي أشيل قروش من عربية شايلة جثمان فاطمة عبدالرحيم؟)

تحركت العربة، والجميع في حيرةٍ من أمر ذلك الرجل، مؤمنين بأن وراء هذا الموقف قصةً وموقفاً نبيلاً من مواقف الكنداكة التي لا تُنسى، غير أنّ الزمان والمكان لم يكونا مناسبين لمعرفة سرّ ذلك الرجل، الذي عبّر بدموعه عن أثرها العميق في القلوب.

كان يوم 5 فبراير 2025م مواراة جثمان الكنداكة فاطمة عبدالرحيم الثرى، بمقابر شيخ عدلان ود بري بمنطقة المقاودة، حيث مدافن أجدادها وأسرتها، يوماً مشهوداً، حضره جمعٌ غفير من أهلها ومحبيها، (صورة رقم 41).

صورة رقم(41)، مراسم دفن الكنداكة في مقابر شيخ عدلان ود بري بالمقاودة

وأُقيمت مراسم العزاء في منزلها بقرية القدار، في أجواء خيّم عليها الحزن والأسى لفقدان قامة نسوية وطنية ومجتمعية سامقة، (صورة رقم 42).

صورة رقم(42)، النساء يتلين القرآن الكريم في مراسم العزاء

وبعد رحيلها المر، كُتبت في حقها الكثير من الكلمات الصادقة، سُطّرت بمداد الحزن والوفاء، استحضرت مآثرها ومواقفها الإنسانية والاجتماعية، وعكست مكانتها الكبيرة في قلوب من عرفوها.

ونكتفي هنا بإيراد نموذجين من تلك الكتابات:

الأول: رسالة تعزية مؤثرة بعثت بها الدكتورة منيرة ساتي من المملكة العربية السعودية، نشرتها على صفحتها بموقع فيسبوك،كتبت:

رحلت من دنيانا الأم المثالية، والشخصية القامة، أمي، عمتي، خالتي الحاجة فاطمة عبدالرحيم.

ما أحلى هذا الاسم، وما أجمل لقياها؛ هاشّةً باشّة، رغم مشغولياتها، وهي تقف لتسأل عن التفاصيل بشوقٍ وحب، وقلبِ أمٍّ رؤوم.

رحلت الحبيبة إلى رحاب الخالدين

مستبشرةً برضا رب العالمين

متوشّحةً بالصبر عند البلاء

متمسكةً بالله خير السائلين.

رحلت المعلّمة للفضائل، وارثَت

وغدت رفيقةً للرجال الفائزين.

سمت الحياة، وكانت فخر رموزها،

متمسكةً بالعرف، تهدي التائهين.

كان لها صولاتٌ مجدُ خالد،

متسلّحةً بالحق ضد الفاسدين.

فاطنةٌ، إذا حلّ الضيف كانت مرحِّبة،

وبها المكارم، لا تكلّ ولا تلين.

فاطمة الحاجة، لبيت الله المجاهدة التقيّة،

فاطمة المدافعة، المسالمة، الأمينة،

فاطمة الصديقة الصادقة، الوعد الوفية،

حلوة المناقب، صادقة القول، رصينة.

من ذا يُعزّيني، وأعزّي فيها من؟

أبناؤها الأبرار، الكنز الثمين:

محمد، إحسان، هاجر، يا سميرة...

اللهم اربط على قلوبهم،

**فاطمة عبد الرحيم**

وألهمهم الصبر والسلوان،

واجعل فقدهم رفعةً في الدرجات

ونوراً في المآل.

أبناؤها الأبرار، الكنز الثمين:

محمد، إحسان، هاجر، يا سميرة...

آهٍ لبُعدي وحزني،

فقدَكم فقدٌ تامّ،

كما فقدتُ في ذلك العام أمي.

ما لكم سوى الصبر واليقين،

ففي الفردوس وعدٌ باللقاء الأبدي.

إنا لله وإنا إليه راجعون.

يا منزل الرحمات، أكرم من أتى

متمسّكةً بعراك، خاضعةً، مستكينة.

أغدِق عليها العفو والفوز،

وأدخلها جنات دار الصالحين.

وأغدِق على القدار، والرحمن، والخرطوم

صبراً على هذا الفقد الكبير.

#منيرة_ساتي

أبها / شعبان – فبراير 2025م

**فاطمة عبد الرحيم**

**سيرة كنداكة نوبية معاصرة 108 |**

مرثية الحاجة فاطمة عبدالرحيم

والثاني: مرثية شعرية كتبها الشاعر علي درار صالح بالعامية السودانية، جسّد فيها عمق الفقد وصدق الرثاء:

سبحان من ليه الدوام

علي خلقو حاكم بالعدم

كل حي مصيرو ومافي شك

بلفاه من الموت سهم

شن فيكي ي دنيا الرحيل

غير البلاوي وهم وغم

فراقة خرابة عماااار

شتاتة من بعد الملم

بعد العسل من طبعتك

بتمدي كأس مليانة سم

آاه يا السلاطين من خبر

في الحلة اتفجر لغم

فتك جراحات الحشا

وفي الجوف طلق نيران سلم

آه يا السلاطين وتاني آاه

من وجعة مالا عداد وكم

وجعاتنا ما بشيلا الورق

**فاطمة عبد الرحيم**

وتعبيرا بعجز للقلم

اليوم بدور ارثيكي بت عبد الرحيم

لكن بخاف يا الحاجة يخذلني القلم

عارف رثاكي ام الكرام

يحتاج أديب وافر فهم

عنك سكوتي بشوفو عار

ما دمت بي واقعي انصدم

لكني بكتب بي قلم

مدادو من شرياني دم

حديثي من خاطرا كسير

ما بنجبر شايل قسم

يا الحاجة فقدك صح هدم

ديوان سخاكي الفارشة بالجود والكرم

كرما يحاكوه الكرااااام

وزائد علي حاتم كرم

كان همتك تعلو وتفوق

يا الزينة لي أهل العمم

كنتي المنارة الفي الفريق

شمخت مثل جبلا اصم

ما إنتي كل عملا جميل

**فاطمة عبد الرحيم**

كان ليكي فيه اكيد سهم

وكنتي يوم الشورى ليك

رأيا سديد مليان حكم

ما بنلقى متلك في الحريم

وإن قلنا نلقى بكون وهم

مابتخشي في الحق من ملام

إن كان بقت عاقبتو دم

كان فاطمة للجنيات هلال

وكان للبنيات الأساور والختم

يا الحاجة يوم شكرك وصل

وماهو المراد

وهو ياتو مراد في الدنيا تم

ما فاطمة كانت للجميع بهجة وسرور

كان منتدى وزينة ملم

ما للسلاطين وجعتها

من سبعة ليهم عود قسم

والستة فوق كل القرى

متقسمات حسرة وندم

ظهر السلاطين اتقصم

يوم ليها توب السترة لم

إحسان تئن جوفها اتفطر

زارفات دموع عينيها دم

والعبرة ليها معشرقة

ويا حليلا ريقا صبح فحم

ما الحال عليها صبح صعييب

وشالت علي أكتافا هم

أسفا محمد في حشاا

من شوفتا مقو اتحرم

هي المدرسة النال منها

دكتوراة في علم الكرم

لبسوا البنيات توب حداد

وطوو الرجال في الرأس عمم

رثايا ليك يا الحاجة حق

واجب علي حالف قسم

انا فيه ما جاملت زوول

سطرتو تبرى لي الزمم

برثيها فاطمة أنا لي الاصيل

المن عيوب خالي وتهم

وبرثيها للبقضى الغرض

في العتمة بعد الليل قسم

**فاطمة عبد الرحيم**

وبرثيها للولد البشيل

فوق دبرو نازف جرحو دم

كان قصدي اقول فيها الكتير

إلا الحديث عقدو اتفصم

قصرت فيك في حقها

وخايف الملامة مع التهم

يا فاطمة زكراكي بتدووم

تذكر متى ذكر الكرم

من ناوا ليكي مرثيتي جات

مليانة طياتها حاملة أسى وندم

قايل بتهضم وجعتي

لكن بقت في الجوف تخم

مولاي مسؤول بالكتاب

ويارب مسؤول بالكتاب

وتالي في داجي  الظلم

يا ربي أمتك في حماك

حلت وانت اهل الكرم

افتحلها أبواب رحمتك

وطهر صحيفتها من لمم

ونجيها في يوم النشور

**فاطمة عبد الرحيم**

من ضيق ومن ذلة قدم

.....

تركت الكنداكة فاطمة عبدالرحيم إرثاً كبيراً حافلاً بالإنجاز والعطاء، وخلفت من بعدها أسرةً ممتدةً حملت الرسالة، وسارت على خطاها، مستلهمةً من نجاحاتها وقيمها الراسخة. وبفضل دعمها اللامحدود، نال أحفادها وحفيداتها شهاداتٍ رفيعة في مختلف التخصصات الطبية والهندسية والإنسانية، من أميز الجامعات السودانية، محققين بذلك حلمها العميق في ترسيخ قيمة التعليم. ولعل هذا الإيمان العميق بالتعليم مردّه إلى أنها لم تحظَ بفرصة التعليم النظامي، فغدت رسالتها أن تعوّض ذلك الحرمان بزرعه في وجدان أسرتها الممتدة، دعماً وتشجيعاً بلا حدود لكل من قصد طريق العلم، (صورة رقم 43-44).

صورة رقم(43) الخريجة ليندا عثمان السنى ووالدتها إحسان سلطان

صورة رقم(44)، الطبيبة فاطمة ساتي محمد ساتى ووالدتها هاجر سلطان

ولم يكن رحيل الكنداكة فاطمة عبد الرحيم نهاية المطاف لدور المرأة السودانية المؤثرة في الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، بل جاء امتداداً لسلسلةٍ متصلة من العطاء والاستمرارية، تؤكد أن أثر النساء العظيمات لا ينقطع برحيل الجسد، بل يتجدد في الأجيال التي يحملنها الحلم والمسؤولية.

# الخاتمة

بيّنّا في المقدّمة أسباب اختيارنا لكتابة سيرة فاطمة عبدالرحيم بوصفها نموذجًا لكنداكة نوبية معاصرة، سعياً إلى إبراز جانب من أدوار المرأة السودانية في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وهنّ كثيرات، غير أن التجربة التي جسّدتها هذه السيرة تمثل مثالًا دالًا على ذلك العطاء المتجذر.

ومن خلال تتبّع تشابك الأنساب والجغرافيا والتاريخ، وجدلية المكان والهوية، ورمزية الامتداد التاريخي، تبيّن أن الكنداكة فاطمة عبدالرحيم لم تكن ابنة أسرة أو قرية فحسب، بل ابنة سياق تاريخي نوبي عميق، تشكّل فيه الانتماء بوصفه مسؤولية لا مجرد ميراث. فالمكان لم يكن خلفية محايدة لحياتها، بل شريكًا فاعلًا في صياغة وعيها، ورافدًا لقيمها، ومجالًا رحبًا لفعلها الاجتماعي.

أما النشأة وملامح الشخصية، وأثر المكان والبيئة، فقد كشفت عن تكوين مبكر لامرأة جمعت بين الصلابة والرحمة، والبساطة والوعي، والحكمة العملية والحدس الاجتماعي. شخصية تشكّلت خارج قاعات التعليم النظامي، لكنها آمنت بالتعليم إيمانًا رساليًا، وجعلت منه مشروعًا أخلاقيًا للأجيال القادمة. فكان عطاؤها مضاعفًا، لأنها منحت ما حُرمت منه، وجعلت من تحمّل المسؤولية المبكر وتحديات الواقع المعاش دافعًا لمزيد من العطاء والتميّز والنجاح.

وفي محطات حياتها المختلفة، برز دورها الاجتماعي والاقتصادي بوصفه فعلًا يوميًا صامتًا لا يطلب الأضواء، لكنه يُحدث أثرًا عميقًا ومستدامًا. فقد جسّدت نموذج المرأة التي تنتمي إلى مجتمعها وتعمل من داخله، مستندة إلى قيم التعاون والتكافل والمسؤولية، فغدت مرجعًا أخلاقيًا ومجتمعيًا، ومثالًا يُحتذى في العطاء المتصل.

ويأتي حصاد السنين ولمسات الوفاء ليؤكد أن ما زرعته الكنداكة فاطمة عبدالرحيم لم يذهب سدى، بل أثمر امتدادًا إنسانيًا ومعرفيًا واجتماعيًا، تجلّى في أبنائها وأحفادها، وفي كل من تأثر بسيرتها. وقد تجسّد هذا الوفاء في الاعتراف بدورها وتكريم عطائها، حين نالت جائزة الإبداع لنساء الريف على مستوى السودان، ثم رُشِّحت على المستوى الإقليمي في القارة

الأفريقية، واختيرت ضمن ألف امرأة في العالم للترشّح لإحدى أرفع الجوائز الإنسانية، جائزة نوبل للسلام.

إن رحيل الكنداكة فاطمة عبدالرحيم لا يمثّل نهاية لدور المرأة النوبية والسودانية، بل يشكّل محطة من محطات الاستمرارية، ووقودًا معنويًا لجيل جديد يستلهم من تجربتها معاني الالتزام والعطاء.

وهكذا تُختتم هذه السيرة، لا بوصفها رثاءً، بل توثيقًا لمعنى، واستدعاءً لنموذج، وتأكيدًا على أن الكنداكة ليست ذكرى من الماضي، بل حضور متجدّد في وجدان الحاضر، وإلهام ممتد نحو المستقبل.

# المصادر والمراجع

**أولاً: المصادر والمراجع باللغة العربية:**


1- إقبال جعفر الحسين،(إسهامات المرأة في التنمية الريفية: دراسة تطبيقية على النساء الفائزات بجائزة الإبداع لنساء الريف في الفترة من (1999–2001م)، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الزراعة، أم درمان، السودان، 2002م.

2- عواطف عبد اللطيف، بتراب الدوحة، (الدوحة:مجموعة دار الشروق،2025م).

3- عوض شبا، مملكة الدفار المنسية، ( الخرطوم، دار آرثيريا للنشر والتوزيع،2021م).

4- عمر حاج الزاكي، مملكة مروي -الحضارة والتاريخ، ط2، (الخرطوم: إصدارات وحدة تنفيذ السدود ، 2008م).


**ثانياً: المصادر باللغة الإنجليزية:**


1- PeaceWomen Across the Globe,1000 PeaceWomen Across the Globe.Zurich: PeaceWomen Across the Globe (Swiss Initiative), 2005.


**ثالثاً: المصادر الشفاهية:**

1- محمد علي درار مختار درار، مواليد 1955م، المهنة: تاجر (يعمل بدكان في السوق بعد التقاعد بالمعاش)، السكن: المحلية – قسم أربعة جنوب – جوار وحدة دنقلا العجوز الإدارية.

2- سميرة سلطان محمد، مواليد 1967م – مولودة بكنكلاب، المؤهل: التعليم الثانوي، السكن الحالي: قرية الشهيد الزبير محمد صالح

3- هند عمر عبد الرحيم عثمان سلطان، مواليد 1977م، المهنة: ربة منزل، الحالة الاجتماعية: أم لأربعة أبناء (ثلاث بنات وولد)، السكن: الخرطوم – أركويت مربع 68.

4- أمينة محمد عبد الرحيم عثمان سلطان محمد، مواليد 1962م، المهنة: معلمة بالمدارس المتوسطة، التخصص: لغة عربية وتربية إسلامية، السكن: القدار – حي المدارس، ملاحظات توثيقية: من الأسرة، وشاهدة على عدد من الوقائع الاجتماعية والأسرية المرتبطة بالسيرة.

5- هاجر سلطان محمد سلطان، مواليد 1973م، المؤهل: جامعية، المهنة: ربة منزل، الحالة الاجتماعية: أم لأربعة أبناء (بنتان وولدان)، السكن: بحري – المغتربين (سابقًا)، والقدار – حي الساتاب (حاليًا)، ملاحظات: الابنة الصغرى للمرحومة الحاجة فاطمة عبد الرحيم.

6- أحمد محمد صالح الدردقاب، مواليد 1940م، المهنة: تاجر، السكن: القدار.

7- الدكتورة منيرة محمد ساتي السيد، مواليد 1965م، المهنة: أستاذة جامعية – جامعة الملك خالد (أبها، المملكة العربية السعودية)، الأصل والسكن: القدار (جقوب).

8- يوسف صالح علي، الميلاد: 1959م، العمل: تربال (مزارع)، السكن: القدار، صلة القرابة: فاطمة سلطان هي جدّته (حبوبته).

9- عبد الله عثمان علي بشارة، الميلاد: 1962م، الدراسة: هندسة البترول، المسار المهني: التحق بجهاز الأمن والمخابرات، وأُحيل إلى التقاعد برتبة لواء في نوفمبر 2019م، مكان الإقامة الحالي: غينيا كوناكري.

10- فتحي عثمان محمد علي عتيق، الميلاد: 1967م، الدراسة: كلية التربية – تخصص لغة عربية، العمل: معلم بدولة قطر (الدوحة)، الحالة الاجتماعية: متزوج من محاسن محمد عبد الله زبير واب.

# الملاحق

صورة رقم(45)، مقابلة مع أحمد محمد صالح دردق

صورة رقم(46)، مقابلة مع محمد علي(المخيتير)

صورة رقم(47)، مقابلة مع سميرة سلطان (إبنة الكنداكة)

صورة رقم(48)، مقابلة مع محمد سلطان(ابن الكنداكة)

صورة رقم(49)، مقابلة مع العم باب الله(أحد عمال الكنداكة)